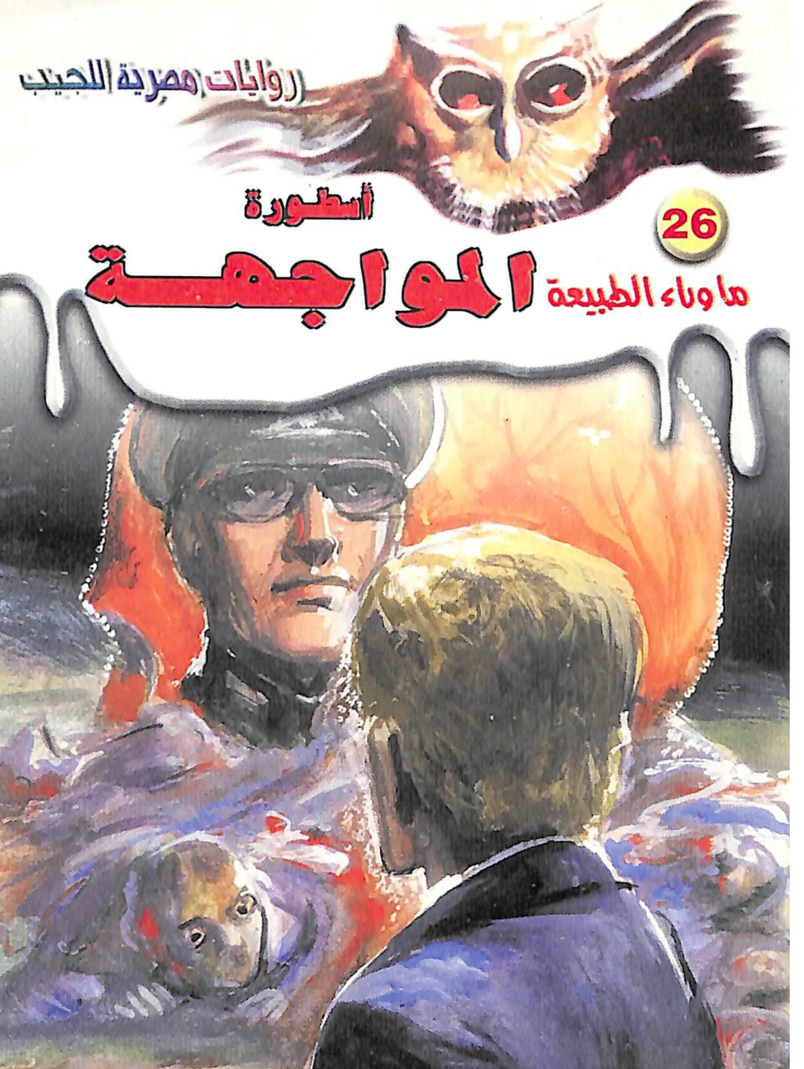

روايات مصرية للجيب
26
أسطورة
المواجهة
ما وراء الطبيعة

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب

٥٢٧٩

أسطورة المواجهة

كان (إيجور) يختلف عن الآخرين .. وكان له هدف فى الحياة يختلف عن أى هدف آخر ، الهدف هو ألا يموت خصمه آمنًا .. ألا يموت وهو يدرك أن هناك من لم ينس بعد ، كان (إيجور) يختلف عن الآخرين .. وخصمه أيضًا كان يختلف ..!



د. أحمد خالد توفيق

الثمن فى مصر ١٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٥٩٠٨٤٥٥

العدد القادم :
أسطورتنا !

26

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

أسطورة المواجهة

روايات مصرية للجيب

●

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنَّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

إشراف

الأستاذ/ حمدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر
الجديدة - القاهرة ت : ٢٨٢٣٧٩٢ - ٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

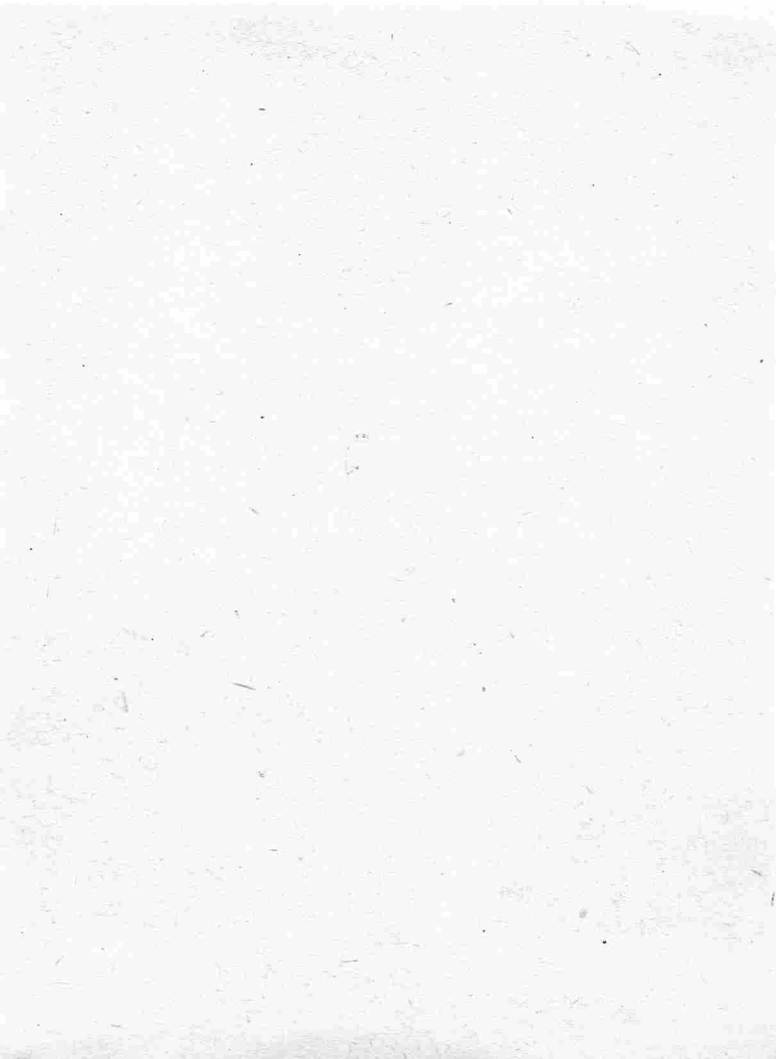
26

أسطورة المواجهة

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥



فلننعش ذاكرتنا !

مولود فى (بولندا ـ وارسو) عام ١٩٣٧ ، وابن لأبوين بارّين يعيشان حياة هادئة .. هذا هو (إيجور تاركوفسكى) بطل قصتنا ..

النازى يستولى على (وارسو) .. الجنرال السفاح (سيدلتز جابلر) يزيل قطاعًا كاملاً من المدينة من الوجود .. فى وسط النيران والصخب يفقد (إيجور) ـ ابن السنوات الخمس ـ أسرته ووعيه ، ويتم إنقاذه من تحت الرماد الملتهب وقد صار إنسانًا جديدًا ..

وينزح الصبى مع العم (أندريه) إلى العالم الجديد (أمريكا) فارين من (بولندا) التى تحولت إلى جحيم حقيقى ، لكن (أندريه) السكير العجوز البائس لا يعيش فى (أمريكا) كثيرًا لأنه بلغ لحظة النهاية ..

وهنا يجىء دور أبوين بالتبنى يكفلان اليتيم البولندى الصغير ، لكن دون حبّ حقيقى .. مجرّد الحاجة إلى أن يكون لديهما طفل .

ويدرك (إيجور) أن القليلين جدًّا يحبونه أو يرحبون به ..

فهو يملك موهبة لا يدرى كيف ظهرت فجأة .. إنه قادر على اختراق أذهان الآخرين وسماع أفكارهم بوضوح تام .. لكن هذا يظل سرّه الذى لا يصارح به أحدًا ..

وكالعادة يبدأ بعض الصبية فى التحرش به .. فهو أجنبى ضعيف حساس هشّ ..، ويكون عقابهم له فريدًا : عليه دخول المنزل المسكون لآل (كيلى) وقضاء ليلة كاملة فيه ..

ويقبل الصبى التحدى ويدخل البيت ليفاجأ بأن أسرة (كيلى) مازالت هناك فى صورة شبحين يبحثان عن قاتلهما ..

هكذا يتم التعاون بين (إيجور) وبينهما ، هما يثيران الرعب فى قلوب عصابة الصبية ، وهو يتصل بالشرطة لتقبض على قاتل الزوجين الذى مازال حيًّا وحرًّا ..

وهنا ندرك حقيقة هامة .. إن كل الأشرار فى العالم هم ـ بالنسبة لـ (إيجور) ـ صورة مكررة من الجنرال السفاح (جابلر) ..

★ ★ ★

بعد أعوام ستة قابلنا (إيجور) طالبًا فى المدرسة الثانوية ، وقد بدأ الحب يتحرك فى قلب المراهق تجاه (جلاديس) ..

لكن (جلاديس) تتبدل .. لأن هناك من يدعى (هارى كارلسون) ، وهذا الـ (هارى) من الطراز الذى لا تستطيع فتاة أن تقاومه ..

لكن (هارى) يملك مزية أخرى : إنه نذل كبير .. وبمجرّد أن يستوثق من أن الفتاة قد هامت به حبًّا يتخلى عنها ، غير مبال بأنه هشم روحها الحساسة للأبد ..

يا للشقاء !.. يصمم (إيجور) على الانتقام ويدعو (هارى) إلى مبارزة من نوع خاص جدًّا .. مبارزة بالسمّ ، ويوافق (هارى) الذى لم يرفض تحديًا فى حياته كلها ..

لكن (إيجور) يتلاعب به ، ويتضح أن القارورتين خاليتان من السم ، لكن قوة الإيحاء غير العادية لـ (إيجور) تجعل (هارى) يشعر بالسمّ يمزق أحشاءه .. ويملأ الدنيا صراخًا .. ويغدو مهرج المدرسة وموضوع سخريتها ..

إنه يرى فى كل شرير قاس وجه عدوه (جابلر) ..
ترى هل يلتقى الشتيتان ؟
هل يبدأ الصراع الذى انتظر كل هذه الأعوام ؟

★ ★ ★

وفى العام ١٩٦٠ يبدأ (إيجور) فى المعاناة من نوبات صرعية متكررة ، مصحوبة بقوة ملحوظة فى موهبته هذه ..

ويطلب العون من مواطنه (شلوفسكى) الذى لا يجد حلاً سوى عرضه على خبير الهراء الأول فى (مانهاتن) وهو الدكتور (إدوارد مالكولم) .. الذى يراه البعض عبقريًّا ويراه البعض نصابًا أو معتوهًا ..

ومع (مالكولم) يعرف (إيجور) أنه Esper .. الشخصية ذات الإدراك الفائق للحس إلى حدّ لا يُصدق .. كما يعرف أنه ليس الوحيد من نوعه ..

هناك (هاثاواى) و (ماكجافن) الذى يجيد تحريك الأشياء عن بعد .. كما أن هناك (جيف جولد سميث) الزنجى الذى يملك ناصية التخاطر .. و(شندلر) الألمانى الذى يملك موهبة سلبية فريدة من نوعها .. فلا أحد يقدر على قراءة أفكاره ..

ولقد تعرفنا بعض النواحى المسلية لموهبة (إيجور) هذه .. مرة حينما استطاع أن يحبط مخططًا لسرقة المصرف الذى يعمل فيه .. ومرة حينما اكتشف محاولة لترويج نقود مزورة ..

عرفنا كذلك علاقته الباردة جدًا بـ (لارا) زميلته فى المصرف التى لم يمل إليها إلا لأن عقلها (نظيف) تمامًا ..

ثم رأينا التجربة المريعة التى دعاهم د.(مالكولم) للقيام بها ، حين حاول تعليمهم المشى فى طرقات العقل البشرى ، ومحاولة اقتحام الغرفة المحرمة للـ (أنا) ..

وينجح (إيجور) فى هذا نجاحًا باهرًا . فهو يقتحم عقل (هاثاواى) ويشاهده غرفة غرفة بما فيه من ذكريات ، بعضها سارّ وبعضها مشين .. لكن محاولة فتح الغرفة المحرمة تنتهى نهاية مأساوية يُجن بعدها (هاثاواى) للأسف ..

★ ★ ★

العام ١٩٦٢ :

(إيجور) يخضع لضغط هو مزيج فريد من القهر

والإغراء ، كى يعمل مع المخابرات الأمريكية فى فريق ممن يسمونهم الـ Espers .. ويكتشف (إيجور) أن أغلب زملائه من ذوى المواهب الفريدة هم أعضاء فى هذا الفريق ، والغرض هو إنشاء سلاح قذر جديد من نوعه يماثل ما لدى السوفييت فى هذا الصدد ..

الهدف : تحرّى وجود صواريخ نووية فى (كوبا) ..

وبعد دورة قصيرة تحت إمرة جنرال (فرايدمان) - أو هكذا ينادونه - ينطلق (إيجور) للتجسس الفكرى على عميل المخابرات السوفييتية المدعو (إيفان زاروف) .. والثمن هو معلومات عن الجنرال النازى (جابلر) يقدمها الأمريكان لـ (إيجور) متى رضوا عنه ..

للأسف ليس (إيفان زاروف) بالخصم الهين ..

إن هذا الثعلب يشعر بـ(إيجور) .. ويفهم بالتدريج أن (إيجور) يتلصص على أفكاره .. فقارئو الأفكار ليسوا غريبين عليه ..

وهكذا يجد (إيجور) نفسه مُطاردًا بوساطة ثعلبين سوفيتيين فى سيارة مسرعة فى شوارع (واشنجتون) المظلمة ..

لا نجاة من هذا الموقف العسير إذن سوى بمحاولة اقتحام عقل سائق السيارة ، وفتح غرفة العقل الباطن إياها ..

وينجح (إيجور) .. وتندفع السيارة المطاردة لتنقلب وتحترق تمامًا ..

إلا أنه ـ فى الصباح ـ يدرك أنه لم ينجح فى الإفلات من قبضة الدب السوفيينى .. إذ يفاجأ بزيارة غير ودود على الإطلاق من (ديمترى كالينين) ؛ ثعلب المخابرات الروسية فى الولايات المتحدة ، ومعه حارسان وسيمان يحاصران (إيجور) فى غرفته .. ويصارح (كالينين) بطلنا أنهم الآن صاروا يعرفون كل شىء عنه .. ستعمل معنا يا (إيجور) والمقابل هو أن نقودك إلى (جابلر) خصمك اللدود ..

وبسهولة يعرف (إيجور) أنهم صادقون ..

هم يعرفون مكان (جابلر) .. أحدهم يعرفه .. لكنه لا يجد فى عقولهم المزيد من المعلومات ..

الإغراء الثانى الذى يقدمونه له هو حياته .. النجاة من نوبات الصرع التى تحاصره والتى تقربه من حتفه يومًا فيومًا ..

هذا هو الصراع .. وهو ليس بهين إذا ما تذكرنا أن (إيجور) لم يعتبر نفسه أمريكيًّا فى أية لحظة .. لكنه ـ كذلك ـ لا يعتبر نفسه سوفييتيًّا ..

هذه هى الأحداث التى سبقت بداية الجزء السابع من قصتنا ، والتى أعد البعض بأن تكون بداية النهاية .. اقلبوا الصفحة الآن أو انظروا لليسار من فضلكم ..



الجزء السابع

(مانهاتن) - ١٩٦٣

الآن حين نحاول أن نـرى (إيجـور) نجـد أنـه فـى أسوأ حال ممكن .. إن حاله يتلخص فى كلمة واحدة : الصراع ..

وليسهل علينا فهْم جوانب هذا الصـراع ؛ نقـول إن فلسفة وجود (إيجور) والسبب فى حياته هو الانتقام .. لقد جاء إلى هذا العالم كى ينتقم من (سيدلتز جابلر) .. فهـو لا يملـك أحلامًـا أخـرى ولا طموحـات مـن أى نوع ..

فقط النظرة المتوسلة المذعورة فى عينى (جابلر) ، وهو يمدَ كفيه إلى (إيجور) هاتفًا :

- « لا !.. لا تقتلنى !.. لا تقـ ..... »

ثـم تنطلـق الرصاصـة .. أو ينغمـد الخنجـر .. أو ينفجـر الدينـاميت .. أو يتنـاثر الحمـض .. أو يشـتعل عود الثقاب .. وتنتهى المأساة ..

ويقف (إيجور) يرمـق فـى تشـف نهايـة كـل هذه الكبرياء التى ذهبت إلى الجحيم ..الجحيـم الـذى يضـمّ كل الجنرالات حارقى المدن وقاتلى الأبرياء .....

آه !.. إن هذا لأجمل من أن يمكن تخيله ..

لهذا يمكننا أن نفهم كيف يعيش المرء ستة وعشرين عامًا من أجل حلم .. وحين يدنو هذا الحلم يكون عليه أن يقاوم ، وأن يأبى وإلا كان مواطنًا أمريكيًّا غير صالح ..

★ ★ ★

كان الكابوس لا ينى عن التكرار كل ليلة .. كان يرى نفسه فى (بوليفيا) وقد وجد مكان خصمه القديم .. الخصم الذى لا يعرف (إيجور) ولم يسمع عنه قط ..

فما إن يصل (إيجور) إلى بيت الجنرال حتى يجده قد مات .. هكذا !.. مات فى سلام فى فراشه كما يموت أطباء الأسنان ورسامو الخرائط ومدرسو الفلسفة .. مات فى سلام وابتسامة هادئة آمنة على شفتيه ..

لا !.. إن هذا لن يكون ..

ينهض (إيجور) من نومه غارقًا فى العرق .. يحاول التشبث بالملاءة .. إن الزمن يسابقه .. والجنرال ـ حتمًا ـ فى السبعين من عمره أو أكبر ..

معنى هذا أن الأمر لن يطول .. سيفلت الرجل للأبد من قبضة الانتقام .. وسيموت آمنًا غير عالم بوجود من لم ينس جرائمه بعد .....

★ ★ ★

حينما دلف إلى مكتب الجنرال (فرايدمان) كان حائرًا .. هل سيلقاه الرجل باللوم أم بالتهنئة ؟ وفى عقل الرجل وجد الشعورين معًا متجاورين متلاصقين : الرضا والسخط ..

قال الجنرال وهو يصافحه :

ـ « عودًا حميدًا يا (تاركوفسكى) .. لقد أبليت بلاء حسنًا فى العاصمة .. ولقد قرأت تقريرك بكثير من شغف .. »

ـ « شكرًا .. »

جلس الجنرال فى تؤدة .. وراح يتأمل أظفاره المقلمة بعناية .. أظفار الرجل الذى لا يستحبّ المزاح معه .. وقال :

ـ « إلا أننى لا أرتاح لما حدث من ضوضاء .. مطاردة بالسيارات .. سيارة تنقلب .. مصرع (بودونسكى) وإصابة (زاروف) .. لم أفهم كثيرًا

ضرورة ما حدث .. ولا أعرف كيف يمكن لهذين الرجلين أن يخمنا كونك Esper أم لا .. كيف يمكن لأى مخلوق كان أن يحدس شيئًا كهذا ؟ »

بلّل (إيجور) شفته الجافة .. وغمغم فى فتور :

ـ « كان (زاروف) أذكى مما ينبغى .. هذه هى الحقيقة .. »

ـ « لنقل إننا كنا أقل ذكاءً مما ينبغى .. ثمة خطأ فى التكتيك الخاص بنا .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. ربما .. »

تأمل الجنرال أوراق ملف على المنضدة أمامه .. وقلبها فى شرود .. ثم غمغم :

ـ « ثمة نقطة أثارت قلقى فى تقريرك .. هى أنك تعتبر نفسك عميلاً محترفًا .. تقول إنه مادام (زاروف) لم يمت فمعنى هذا أن المخابرات الروسية تعرف كل شىء عن استعانتنا بذوى القدرات الفائقة للحس .. وبالتالى لم يعد هناك معنى للاستعانة بك فى عمليات أخرى لأنهم يعرفونك .. أليس هذا معنى كلامك ؟ »

ـ « بلى .. »

ـ « هل أعتبر هذا طلبًا للتقاعد المبكر ؟ »

ـ « قد نلتم ما تريدون وأكثر .. عرفتم حقيقة الصواريخ الكوبية وكل شىء عن وسيلة اتصال العملاء بالخارج .. وعملائهم الأمريكيين .. لم يعد لدىّ ما أضيفه .. وقد حان الآن وقت الوفاء بوعدكم .. »

تأمله الجنرال هنيهة شارد الذهن ..

لكن (إيجور) كان يعرف كل خاطرة تدور فى هذا الذهن الجبار الذى لا تفوته شاردة ولا واردة ..

لقد حان وقت الصدام .. وقت المزيد من الضغط ..

قال الجنرال وهو يضيق عينيه محاولاً أن يبدو كثعلب (وهو أمر لا يستحق مجهودًا لأنه واقع) :

ـ « مستر (تاركوفسكى) .. إن نشاط رجالنا لا ينتهى ببساطة لمجرّد أنهم يشعرون بالملل .. أنا الذى يقرر كيفية تقاعدك ووقته .. وكون الروس يعرفونك يدعوك لأن تكون أكثر التصاقًا بنا ؛ فليس من المستحب أن يكون المرء وحيدًا فى مواجهة جهاز (كى ـ جى ـ بى) الرهيب ، خاصة وهم يعرفون ما تعرفه الآن .. »

ـ « كان فى مقدورهم أن يمنعونى من الاتصال بك .. »

ـ « المشكلة هى كونك سلاحًا خطيرًا .. لقد آذيتهم مرة .. ومن الممكن أن تؤذيهم مرات أخرى .. لو كنت مكانهم لحرصت على تدميرك فى أقرب فرصة ممكنة .. »

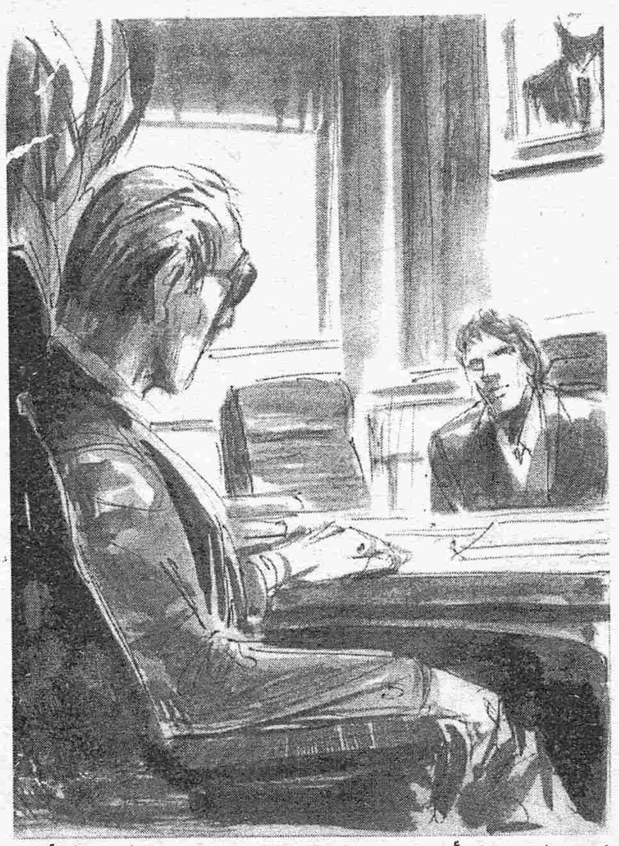
كيف لو عرف ؟

كيف لو أدرك أن السبب الوحيد الذى جعلهم لا يقتلون (إيجور) هو ثقتهم بأنه تحت سيطرتهم ؟

كيف لو تخيل أنه ـ فى هذه اللحظة ـ صار عاريًا تمامًا أمام (إيجور) ؟ قناع الغموض الصارم ينزاح كاشفًا عن أسرار مريعة فى صميم الأمن الأمريكى ..

ـ « عملية (أوميجا) .. الدلاى ـ لاما ـ ... حرب باردة .. جنرال (سلفستر) .. حلف بغداد .. الموقف فى اليمن .. حكومة (عبد الناصر) .. عملاؤنا فى (الكرملين) فى وضع حرج .. الصين .. فريق (هـ) وحكومة (كوستاريكا) .. يجب أن ...... »

الواقع أن (إيجور) خلال عشر دقائق صار يعرف من أسرار الأمن الأمريكى ما يفوق ما يعرفه الرئيس نفسه .. ولو أنه أزمع أن ينقل هذه المعلومات إلى



كيف لو تخيل أنه ـ فى هذه اللحظة ـ صار عاريًا تمامًا أمام (إيجور) ؟ قناع الغموض الصارم !!

السوفييت لاهتزّ ميزان القوى فى العالم كله .. هكذا يتم التجسس .. دون دماء .. دون (ميكروفيلم) .. دون حبر سرّى ولا رسائل مشفّرة ولا شىء على الإطلاق ..

إن جهاز المخابرات الأمريكى يشبه الأخطبوط المتغلغل فى كل شىء .. وتحت كل حجر ..

كان (إيجور) غارقًا فى هذه الخواطر ، حين سمع الجنرال يقول فى تؤدة :

ـ « إنهم يراقبونك منذ عدت إلى (مانهاتن) .. هل تعرف هذا ؟ »

رفع (إيجور) عينًا مندهشة نحوه ، فقال الرجل وهو يبتسم كأنه يقدم حفلاً ترفيهيًّا :

ـ « يبدو أنك لا تعرف .. هم يراقبونك ونحن نراقبهم .. هل تدرك أنهم زرعوا بيتك بأجهزة التنصّت ؟ »

أمام عينى (إيجور) الخرساوين عاد يقول :

ـ « نعم .. منذ يومين بينما كنت أنت فى السينما مع صديقتك الحسناء .. تسلل من يصلح أجهزة التدفئة إلى شقتك .. عالج الباب بأداة معه ودخل .. وقام

بأعمال مبهرة للغاية .. إن هؤلاء السوفييت ليسوا رديئين على الإطلاق .. »

- « وكـ .. كيف غرفتم ؟ »

- « لأن رجلنا تسلل بعد خروج رجلهم بعشر دقائق .. »

- « قمتم بتحويل شقتى إلى متنزه عام إذن .. وهل قمتم بتنظيفها ؟ »

ضحك الجنرال ضحكة مفتعلة .. وغمغم :

- « بالطبع لا .. لماذا نفعل ؟ هم يراقبونك لأنهم لا يعرفون عنك سوى قصة سمجة يحكيها (زاروف) .. قصة تبدو إلى التخريف أو الهذيان أقرب .. لهذا يراقبونك .. ولسوف يجدون أنك لا تتكلم بصوت مسموع ، ولا تجتمع بالمخابرات ، ولا ترسل رسائل لاسلكية .. أنت إنسان وحيد صموت .. لهذا يناسبنا أكثر أن نتركهم يصغون إلى ما يحدث فى شقتك .. »

- « وهل يعرفون أننى هنا اليوم معك ؟ »

- « بالطبع لا .. إن وسيلة لقائنا محكمة تمامًا .. »

كل هذه المعلومات هى تحصيل حاصل .. فـ(إيجور) يعرف أن السوفييت يراقبونه ويعرف أنهم غرسوا

أجهزة تنصّت فى شقته .. ويعرف أنهم يعرفون أمر لقائه بالجنرال ..

فقط الجنرال لا يعرف ..

قال (إيجور) بعد برهة صمت :

ـ « حسن .. كيف تريد منى أن أحقق المزيد تحت هذه الرقابة اللصيقة ؟ »

قال الجنرال وهو يسترخى فى مقعده :

ـ « هذا هين .. سنغير شكلك واسمك وعنوانك .. ستفرّ إلى مكان آخر بعيد عن قبضتهم .. عندها تبدأ من جديد ، سنتبع معك برنامجًا شبيهًا ببرنامج (حماية الشهود) وإلا لن تعيش فى سلام بقية حياتك .. »

ـ « هذا يملؤنى حبورًا .. »

ـ « إن العمل معنا مُفعم بالمفاجآت السارة .. »

قالها الجنرال وشبك أصابع يديه معلنًا انتهاء المقابلة ..

★ ★ ★

تبًّا لها من مصيدة !

حين تدرك أن كل حركة من حركاتك يرصدها

المجهر .. وأن كل همسة حب سكبتها فى أذن (لارا) جوار قرطها المتدلى ؛ هى الآن على عدة شرائط تسجيل فى عدة إدارات للمخابرات .. وأن هناك من يعكف على ترجمة هذه الهمسة إلى الروسية .. وهناك من يحلل ذبذباتها ومن يدرس شكل موجاتها .. وأن صورة (لارا) الحبيبة تحتل عدة ملفات كئيبة الشكل فى مبنى (كى جى بى) الرهيب ..

عندئذ تغدو الحياة أكثر جهامة !

★ ★ ★

فى السابعة مساء بالضبط يقف (إيجور) وقد عقد كفيه خلف ظهره يتأمل واجهة أحد المحلات .. أضواء مبهرة تتألق هنا وهناك منعكسة على الدمى ذوات النظرات الشاخصة ، وهى تقف فى أوضاع أنيقة مدروسة مزهوة بما ترتديه ..

لكن (إيجور) لا يتأمل الملبوسات فى المحل .. لكنه يركز عينيه على جزء من الزجاج أكثر إظلامًا مما حوله .. بالتالى صار مرآة لا بأس بها تريه الشارع خلفه بما فيه من مارة ..

تريه الرجل الأشقر الذى دس يديه فى جيبى معطفه ،

وراح يمشى فى تؤدة متسكعًا بين واجهات المحلات .. حتى وقف بصورة طبيعية غير مريبة جوار (إيجور) أمام الواجهة ذاتها ..

تأمل (إيجور) وجهه فى الانعكاس .. إنه هو .. (ستيفن بيركنز) .. العميل المرتقب .. وهو ـ كما نرى ـ أمريكى جدًّا .. فالسوفييت ليسوا حمقى ليجعلوا كل عملائهم من السوفييت ..

الآن سيتم اللقاء الفريد من نوعه .. أو كما قال (كالينين) :

ـ « اثنان يقفان لثوان أمام واجهة محل للأزياء .. بعدها يفترقان .. من يصدق أنه فى غضون هذه الثوانى يتدفق سيل من المعلومات من رأسك إلى رأسه ؟ من يصدق أن عملية تجسس مهولة تدور فى هذا المكان وسط مئات المارة ؟ »

راح (إيجور) يتلصص بطرف عينيه ..

هو ذا (بيركنز) يقترب .. يقترب ..

ثم يسمع السؤال يتردّد فى ذهن الرجل :

ـ « بِمَ أبلغهم يا (تاركوفسكى) ؟ »

كان مخه معدًّا تمامًا لاستقبال الرسالة .. كأنه

فراش وثير يدعوك لأن تغفو فيه .. كل أبوابه مفتوحة تدعو (إيجور) إلى أن يترك ملفاته بداخل باب منها ..

ابتلع (إيجور) ريقه وركّز تفكيره ناقلاً الرسالة التالية إلى عقل الجاسوس الذى يقف جواره منتظرًا :

ـ « قل لهم إننى لم أعرف شيئًا بعد .. إنهم يكتمون خواطرهم عنى وهم فى ذلك لبارعون .. »

لم تبد أية استجابة على وجه الرجل .. ولم يسمع (إيجور) أى صخب فى أفكاره .. كأنما كان يتوقع هذا من البداية :

« المكان (ب) .. الموعد (ب) إذن .. »

وأدار وجهه مبتعدًا كأنما لم ير ما يستحق الاهتمام فى هذه الواجهة ، وبنفس الكيفية ابتعد (إيجور) فى الاتجاه العكسى ..



- ٢٠ -

قالت (لارا) وهى تتأبط ذراعه بقوة أكثر .. وشفتاها ترتجفان من برد المساء مما جعلها تنكمش فى جانب معطفه كقط صغير :

- « ألن تختار مكانًا ذا أربعة جدران لنحتمى فيه ؟ إننى أوشك على التحول إلى .. إلى ..... »

وبحثت عن لفظة مناسبة فلم تجد .. بدت لها لفظة (تمثال جليدى) أو (بابا نويل ثلجى) مبتذلة وغير طريفة .. ولقد كانت مشكلة (لارا) طيلة حياتها أنها جميلة لكنها مملة .. الجميع قالوا لها إن رأسها الجميل يحوى عقلاً خاويًا أو لا عقل على الإطلاق ..

لكن (إيجور) كان قد بدأ يحبها .. فهو قد سئم الأذكياء الذين ينتقون عباراتهم بعناية .. كل الناس المحيطين به الآن هم من الأذكياء الذين يخفون نواياهم - وربما أفكارهم - خلف عبارات منمقة أنيقة ..

هو بحاجة إلى السذاجة .. إلى الحماقة .. إلى السخف .. إلى الآراء المطروقة المملة .. هو بحاجة إلى (لارا) ..

قال لها وهو يحكم قبضته على ذراعها المرتجف :

ـ « نعم .. إن منزلى يعجّ بأجهزة اتصال الـ (CIA) والـ(KGB) والمكتب الثانى والموساد والسافاك والسكيوريتاتيا(★) .. وربما الجشتابو أيضًا .. لو كان لـ (ترينداد) جهاز مخابرات فلابد أنه يتنصّت على شقتى الآن ! »

[ملحوظة د. (رفعت) : لا أعرف كُنه هذه (السكيوريتاتيا) .. لقد نقلتها من الخطاب كما هى .. ولابد أنها شىء ما ...]

قالت (لارا) :

ـ « إذن أنت لا تثق سوى بالعراء .. »

ـ « نعم .. المكان الوحيد الخالى من أجهزة التنصّت .. »

سألته وهى تلهث بردًا :

ـ « ماذا تنوى عمله ؟ »

ـ « لا شىء .. سألقاه فى المكان (ب) .. لقد وضع لى (كالينين) خطة زمنية مكانية للقاء عملائهم ..

(★) ملحوظة المؤلف : (السكيوريتاتيا) هى جهاز المخابرات الرومانى ..

فى كل مرة يتغير المكان والزمن .. ليس طبيعيًا أن أقف كل يوم أمام واجهة ذات المحل فى نفس الساعة .. إن هذا مريب حقًا .. »

قالت (لارا) فى إشفاق :

ـ « إن ما ينقصك يا (إيجور) هو قارئ أفكار .. قارئ أفكار سوفييتى أو أمريكى يعرف ما يدور بخلدك .. عندئذ ستضيع تمامًا لأن الطرفين سيجدان فى أفكارك ما يوحى بالخيانة .. »

ـ « هذا صحيح .. لكنه لم يحدث لحسن الحظ .. إننى قادر على الإحساس بمن يحاولون اختراق عقلى .. ولم أ.. بعد من يقدر على ذلك سوى (هاثاواى) المسكين .. »

ـ « لكن لعبتك لن تدوم للأبد .. »

ـ « هذا صحيح .. إلى أن أجد (جابلر) .. »

تنهدتْ فتصاعد البخار كثيفًا من بين شفتيها ، كأنما تدخن لفافة تبغ وهمية لا وجود لها .. وهمست :

ـ « مسكين أنت يا (إيجور) ! »

ـ « لماذا ؟.. »

ـ « إن الرجال الذين تستحوذ عليهم فكرة واحدة هم دائمًا مساكين يدعون للشفقة .. »

★ ★ ★

لم يدر متى اتخذ القرار ولا متى ..

إنه لن يتعاون مع أى طرف من الطرفين .. سيفر إلى (بوليفيا) ليلقى الجنرال .. وبعدها لا يهم ما سيحدث .. إن الغرض الأساسى من حياته هو قتل (سيدلتز جابلر) بطريقة شنيعة .. وبمجرد أن يتم ذلك سينتهى الغرض .. مثله مثل ذكر النحلة الذى يموت بمجرد أن يفرغ من تلقيح الملكة .....

« راتا تاتاتاه ! »

« هذه الناحية مغلقة .. » « اخرس ! إنك تثير أعصابى .. اخرس ! ».....

آختونج !.. آختونج ماين جنرال !.. بوم !!..

وبيد واثقة أمسك سماعة الهاتف ـ ليس من شقته طبعًا ـ وطلب رقمًا ..

ـ « هاللو .. شركة المقاولات العالمية .. »

قال بصوت رصين :

ـ « هل السيد (شندلر) موجود ؟ »

ـ « هو فى مكتبه .. لحظة حتى أنهى التحـ .... »

وررررررررر !..

كان هو قد وضع سماعة الهاتف ..، وغادر كابينة

الاتصال .. ليوقف أول سيارة أجرة رآها أمامه ، وبعد أن قطع مسافة لا بأس بها فى شوارع (مانهاتن) طلب من السائق أن يتوقف ووثب من السيارة ليعبر الطريق .. ويوقف سيارة أجرة أخرى .. وهكذا قام بركوب ثلاث سيارات محاولاً تضليل مطارديه الذين لا يعرف من هم .. المطاردين الافتراضيين ..

وها هى ذى اللافتة تقول (شركة المقاولات العالمية) ..

فى إصرار يركب المصعد إلى الطابق الثالث ، ويقول للسكرتيرة إنه يريد أن يقابل مستر (شندلر) .. فتسأله فى أدب :

ـ « هل لديك موعد ؟ »

ـ « لا .. قولى له إن (إيجور تاركوفسكى) يرغب فى لقائه .. إنه لن يرفض .. »

وتدخل السكرتيرة المكتب ، ثم تعود بعد ثوان لتخبره أن الرئيس ينتظره .. فيدخل لاهث الأنفاس إلى المكتب ..

وفى الداخل يجلس الألمانى الأشقر ذو الوجه

الجامد (بيتر شندلر) خلف مكتبه ، يتأمل القـادم فـى حيرة ..

- « مرحبًا يا (إيجور) .. لم نرك منذ زمن .. »

- « حتمًا .. »

- « اجلس .. هل أقدم لك مشروبًا .. ؟ »

- « لا .. »

قال (سندلر) وهو يدور بمقعده الدّوار يمينًا ويسارًا على محوره :

- « من المفترض أننـا لـن نلتقـى أبدًا .. أو علـى الأقل لن نلتقى هنا .. تجدنى مندهشًا .. »

- « كان هذا أقوى منى .. »

رفع (شندلر) عينين حذرتين لأعلى فوجد (إيجور) يرمقه فى ثبات .. ثبات أشعره بعدم الراحة ..

بعد هنيهة سأله (إيجور) وهو يسترخى فى جلسته :

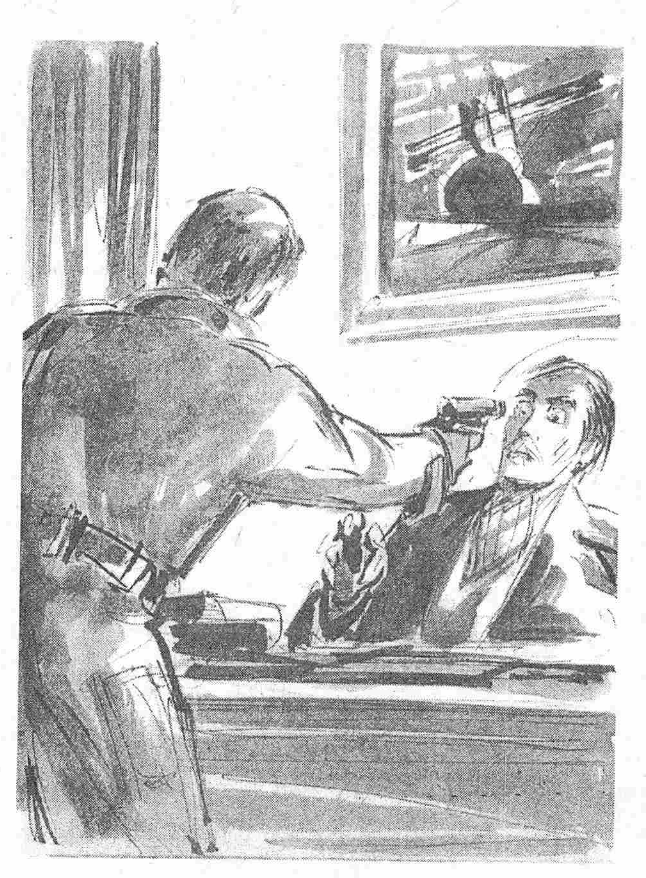
- « أين هو ؟ »

- « من هو ؟ »

- « (جابلر) .. (سيدلتز جالبر) .. »

ابتسم (شندلر) فى تهكم .. وداعب طرف المنديل

الذى وضعه على المكتب أمامه .. وتساءل :
- « ألهذا أتيت ؟ أنت تعرف أننى لن أجيب .. »
- « بل ستفعل .. »
- « لا أدرى سرّ هذه الثقة الزائدة .. لكنك تعرف أننى كالقبر .. لا يمكن معرفة ما بداخله أبدًا .. »
- « حتى لو فتحناه عنوة ؟ »
- « عنوة ؟ عم تتحدّث ؟ »
كان يحدّق الآن فى فوهة مسدس مسلط إلى جبهته .. لم يكن خبيرًا فى أنواع السلاح لكنه عرف بسهولة مدى قبح واتساع الثقب الذى ستحدثه الطلقة فى رأسه ..
- « (إيجور) ! هل فقدت رشدك ؟! »
ابتسم (إيجور) وهو يحكم التصويب .. وهزّ رأسه أن نعم .. ثم قال وهو يثبت عينيه فى عينى خصمه :
- « مادامت الأساليب النفسية لن تجدى معك .. فلا أجد سوى الأساليب العتيقة .. »
قال (شندلر) وهو يحاول التظاهر بالثبات :
- « دعك من هذا السخف .. لاتكن طفلاً .. »



كان يحدّق الآن فى فوهة مسدس مسلط إلى جبهته . .

ـ « لأكن طفلاً .. أنت تعرف ما أريد .. ولسوف أفعل أى شىء لأنتزعه منك .. إن حياتك ثمنها عنوان .. »

ـ « ومن أدراك أننى أعرفه فعلاً ؟ لماذا يخبروننى به من الأصل ؟ لقد كان الجنرال (يبلف) .. ؟ »

حقًا هذا وارد ..

(إيجور) كان يتوقع هذا ولا يستبعده .. لكنها ورقته الوحيدة التى سيلعب بها .. ربما أحرزت له النصر وربما كانت سرابًا ..

قال (إيجور) فى ثبات :

ـ « لو كان الجنرال (يبلف) فأنت فى مأزق يا صديقى .. لأننى لست مستعدًا لأصدق ذلك .. »

ـ « وهل تظن أنك ستنجو من كل هذا ؟ »

ردّ (إيجور) :

ـ « إننى فى وضع لا يسمح لى بإيثار السلامة .. وحينما أضغط الزناد ويتناثر مخك على زجاج المكتب سيأتى رجال الشرطة .. ربما أعدمونى وربما لا .. لكنك لن تكون هنا لتعرف .. »

مرت هنيهة من الصمت تصادمت فيها الإرادتان ..

بعد قليل أمسك (شـندلر) القلم وراح يخط بعض كلمات على قطعة من الورق ..

ـ « هاك العنوان .. لست واثقًا من صحته ولا من أى شىء .. كل ما أعرفه أن الجنرال ناولنى ملفًا لم يقرأه ، وطلب منى أن أدرس ما به ولا أطلعك على حرف واحد .. هذا هو العنوان الذى يقول العملاء الأمريكان إن (جابلر) يعيش فيه .. »

ـ « اتله بصوت عال .. »

ـ « شارع (موليجان) ـ كانساس ـ البناية العاشرة .. »

هذا غريب !.. هل الروس يكذبون أم الأمريكان يكذبون أم (شندلر) يكذب ؟ من المستحيل التأكد من صدق أحد الأطراف وكذب الآخرين .. على كل حال هو ذا العنوان .. يمكنه أن يأخذه ويتأكد فيما بعد ..

تناول القصاصة من (شندلر) فتأملها .. ثم طواها ودسها فى جيب قميصه .. ونهض مبتسمًا .

قال (شندلر) فى عصبية :

ـ « لا تنس أنك ستدفع ثمن هذا .. »

غمغم (إيجور) وهو يضع المسدس على المكتب :

ـ « مشكلتك أنك ـ ككل الألمان ـ لا تفهم الدعابة .. إنها مجرّد مزحة من صديق .. لقد دفعت مبلغًا من المال كى أشترى مسدس الصوت هذا .. والآن يسرنى أن أهديه لك ! »

وقبل أن يلفظ الألمانى بحرف ، أو يجد الوقت كى يغير ملامح وجهه من الذهول ؛ كان (إيجور) قد غادر المكان .....

★ ★ ★

الآن يبدأ السباق مع الزمن ..

كم من الوقت يحتاج إليه (شندلر) كى يدير قرص الهاتف .. يطلب الجنرال .. يخبره بما حدث .. يتحرّك الجنرال بحثًا عن (إيجور) ؟

دقائق .. ساعة .. ساعتين ؟ يجب على (إيجور) أن يكون بعيدًا عن كل رقابة فى هذه الأثناء ..

دلف إلى إحدى كابينات الهاتف ؛ وأغلقها وراءه .. ثم أخرج قصاصة الورق وأعاد تأملها ..

لن يكون هذا عسيرًا .. لقد فعلها من قبل مرارًا .. فقط يركز تفكيره بعيدًا عن صخب الأحداث وصخب الطريق ..

نعم .. ها هو ذا .. إنه يرى وجه (شندلر) وهو يكتب هذه القصاصة بل ويسمع صوته ..

ليس هذا فحسب .. إنه يشعر بالروح التى كتب بها (شندلر) هذه الحروف .. لقد كان خائفًا .. كان صادقًا ..

إذن لم يبق سوى طرفين أحدهما كاذب .. الجنرال (فرايدمان) ومن معه أو (كالينين) ..

هل (جابلر) فى (كانساس) أم (بوليفيا) ؟

ربما كان كلاهما كاذبًا ..

ربما كان الجنرال فى بلد ثالث .. ربما كان فى القبر ..

لقد تعمَد الأمريكان أن يجهلوا الحقيقة فلا يعرفها سوى (شندلر) .. فهل الحقيقة التى يعرفها (شندلر) هى الحقيقة ؟!

إن رأسك سينفجر يا (إيجور) ..

★ ★ ★

فى اللحظة التالية رأى مشهدًا لا يوصف ..

لم يكن قد ابتعد كثيرًا عن مكتب المقاولات .. كان قادرًا على رؤيته على بعد خمسين مترًا من داخل

كابينة الهاتف التى احتمى فيها ..

رأى (شندلر) يظهر على باب البناية .. يهرع لعبور الطريق ممتقع الوجه .. إن سيارته على الجانب الآخر من الطريق حيث الانتظار مسموح به .. وهو مكان من الأماكن النادرة التى تسمح بذلك فى (مانهاتن) ..

ومن اللحظة الأولى عرف (إيجور) ما سيحدث .. إن (شندلر) شارد الذهن .. والطريق خال يسمح بالإسراع للسيارات .. لا بد أنه أجرى مكالمة (هاتفية) طلب الجنرال فيها أن يوافيه حالاً .. لهذا هو لا يشعر بالخطر القادم ..

لهذا هو لا يرى السيارة المنطلقة كسهم نحوه ..

لهذا هو لا يدرك أنه قد مات .. حين طار جسده كالكرة فى الهواء .. فلم يصرخ ولم يبد ذعرًا ..

وبعد ربع ثانية تمدّد على الأرض كجوال خال من الحياة ومن المشروعات المستقبلية ..

لم يجد (إيجور) وقتًا ليقول أو يفعل أى شىء .. حين يموت إنسان أمام عينيك ، وترى بنفسك تلك المعجزة التى تحول كائنًا يضج بالحركة والصخب إلى

دمية انتهت بطاريتها ؛ عندئذ تأتيك هذه الرجفة الغامضة التى لا علاج لها ..

لكن وعيه سمح له بأن يدرك أن السيارة تبتعد فى الأفق .. لقد فرّ القاتل .. قاتل العمد أو الصدفة .. لا أحد يعرف ..

ومن بعيد تعالت ولولة سيارات الشرطة تنوح على شباب القتيل .. لابد أن هناك من رأى الحادث ..

لهذا قرر (إيجور) أن وقت الفرار قد حان ..

★ ★ ★

سيارة تنهب الطريق إلى المطار ..

هل تكفى هذه القبعة والمنظار الأسود لتغيير شكلك ؟ إن هذا لن يكفى لخداع الأمريكيين ؛ لكنه قد يخدع السوفييت .. والسيارة ليست ملكك بل هى من وكالة لتأجير السيارات ..

الحقيبة الصغيرة لا تحوى سوى منامتين وقميصين .. إن سروالك الجينز يصلح لكل الأغراض .

ثم دولاراتك .. مدخراتك طيلة سنوات عديدة هى ما تبقى بعد دفع ثمن التذكرة الباهظ إلى (لاباز) ..

فى حافظتك صورة قديمة بليت أطرافها تمثل جنرالاً نازيًا فارًا .. وفى قلبك حقد يكفى أمة من الأشرار .. وفى عينيك تصميم .. تصميم (دليلة) على ذبح (شمشون) .. كلا .. (دليلة) لم تذبح (شمشون) .. دائمًا تخلط بينها وبين (سالومى) .. و ....

لا وقت لهذا السخف لأن موظف الجمارك يطالع أوراقك .. النظرة المتشككة المدققة .. الشك الذى يوشك أن يغدو يقينًا .. وفى ذهنه تسمع بوضوح :

« إنه هو !.. حتمًا هو ! »

لقد أبلغ الأوغاد المطار ، ولن يمرّ وقت طويل حتى تعرف أنك ممنوع من السفر إلا بإذن من وكالة الاستخبارات والمكتب الفيدرالى والبنتاجون وربما زوج خالتك لو كان حيًّا ..

الموظف يفتح فاه ليتكلم ..

هنا سارع (إيجور) باقتحام ذهن الرجل ..

« ستدعنى أمر .. ستدعنى أمر .. لا خطر هنالك ! »

للحظة امتقع وجه الرجل .. تدلت شفته فى بلاهة ..

زاغت عيناه ثم أعاد الأوراق إلى (إيجور) وأفسح له الطريق .. سيمرّ وقت لا بأس به قبل أن يفطن الأمريكيون إلى أن (إيجور) قد توجه إلى المطار بهذه السرعة وهذا التصميم .. وسيمرّ وقت أطول قبل أن يتذكر هذا الموظف أن (إيجور) قدّم له أوراقه لكن (شيئًا ما) حدث ..

مريحة هي الطائرة .. مريحة فسيحة توحي بالاسترخاء ..

الأمل في الفرار بعيدًا .. بعيدًا .. السحر الدائم للسفر بالطائرة .. الشعور بأنك تترك متاعبك وأحزانك على الأرض وتفرّ .. فقط فلتنطلق هذه الطائرة الحمقاء قبل أن تجيء المضيفة لتسأل عنك ، وتصارحك بأنك يجب أن تنزل ..

صوت الطيار يتمنى رحلة طيبة للجميع .. هدير المحركات المطمئن .. الممر الذى تراه من النافذة يولّى هاربًا .. إلى جانب النافذة أولاً ثم يهبط لأسفل .. لأسفل ..

الأزرق العظيم غير المتناهى فى كل مكان ..

عندئذ تفك حزام المقعد .. وتتنهَّد ..

وداعًا يا أمريكا ..

★ ★ ★

هنا قد يتساءل القارئ : لماذا (بوليفيا) ؟ لربما كان الأمريكان محقين فى كلامهم ، ويكون الجنرال فى (كانساس) ..

الإجابة تتكون من شقين :

أولاً : (بوليفيا) تعنى الهرب بعيدًا عن كل هذا .. و (إيجور) كان فى حاجة إلى الهرب ..

ثانيًا : حين انتزع صورة الجنرال من الجدار هذا الصباح ليحملها معه ، تحركت غريزته التى لا يمكن تسميتها لتقول له إن الجنرال ليس فى الولايات المتحدة .. لم تقل له أين .. لهذا يتجه إلى (بوليفيا) بالاستبعاد ..

ثالثًا : (يبدو أن الإجابة ليست من شقين فحسب) إن التقاليد تحتم أن يفرَّ جنرالات النازى إلى أمريكا الجنوبية .. هذا هو القانون .. فلماذا يغيره (جابلر) ؟..

الآن تحدَّدت نهايتك يا (جابلر) ..

علينا أن نجدك فقط بين خمسة ملايين مواطن بوليفى حسب تعداد ١٩٦٣ ..!

هذا عسير .. لكنك ـ حتمًا ـ لن تفرّ أكثر من هذا ..



الجزء الثامن

(لاباز) - ١٩٦٣

- ٢١ -

(لاباز) هى أعلى عاصمة فى العالم .. معلومة هامة ربما تفيد أحدكم يومًا فى أثناء حلّ الكلمات المتقاطعة ، أو فى برنامج مسابقات ، أو حين يلقاه مذيع متحمس فى الطريق ليقذف هذا السؤال فى وجهه ، بل هى تفيد كل هواة المعلومات السخيفة على غرار (أطول نهر) ، (أعلى جبل) ، (كم عمر نقار الخشب ؟) ، (متى ولد أبو الأسود الدؤلى ؟)

لكن (إيجور) لم يعرف هذا حين مشى فى شوارع (لاباز) لأنه لم يكن يعرف حرفًا من الأسبانية ..

معلومة أخرى : كل أمريكا الجنوبية تتحدّث الأسبانية عدا (البرازيل) التى تتحدّث البرتغالية ..

★ ★ ★

لم يكن البحث عن فندق حقير مشكلة .. فالفنادق الحقيرة الملأى بالبق حق طبيعى من حقوق الإنسان .. المشكلة هى أن تشرح هذا لسائق التاكسى الذى لا يفهم حرفًا من الإنجليزية ..

بعد هذا تدخل الفندق الذى يحمل إسم (باراديسو) ـ الجنة ـ لتصعد بحقيبتك اليتيمة إلى غرفتك .. نسيج العنكبوت فى كل مكان ورائحة العطن .. وحشيّة الفراش التى تبرز منها شوارب متحرّكة لحشرات ما .. والمرآة المكسورة ـ دائمًا ـ والدورق الملىء بالغبار ..

كلها مفردات تبعث النشوة فى روحك ، على الأقل لن تكون هاهنا سماعات ولا أجهزة تنصّت ..

تفرد منشفة وجهك على الوسادة للتيقن من أن نسيج الوسادة القذر لن يلامس بشرتك .. وتستلقى على ظهرك .. فقط لأن هذا هو الوضع الوحيد الذى يبعد كل أجزاء جسدك عن الملاءة ..

هذا هو قدرك مادمت لم تصر من أصحاب الملايين ..

هل تغفو الآن ؟ لا .. ليس بعد .. لابد أولاً من أن تخرج صورة الجنرال من حقيبتك وتعلقها على الجدار جوارك .. لابد من أن ترى وجهه بانتظام ولا تنساه .. يجب أن يظل عدوك ماثلاً أمامك طيلة الوقت ..

ولا يدرى (إيجور) متى ولا كيف نام ..

★ ★ ★

نوبة صرعية جديدة ..!

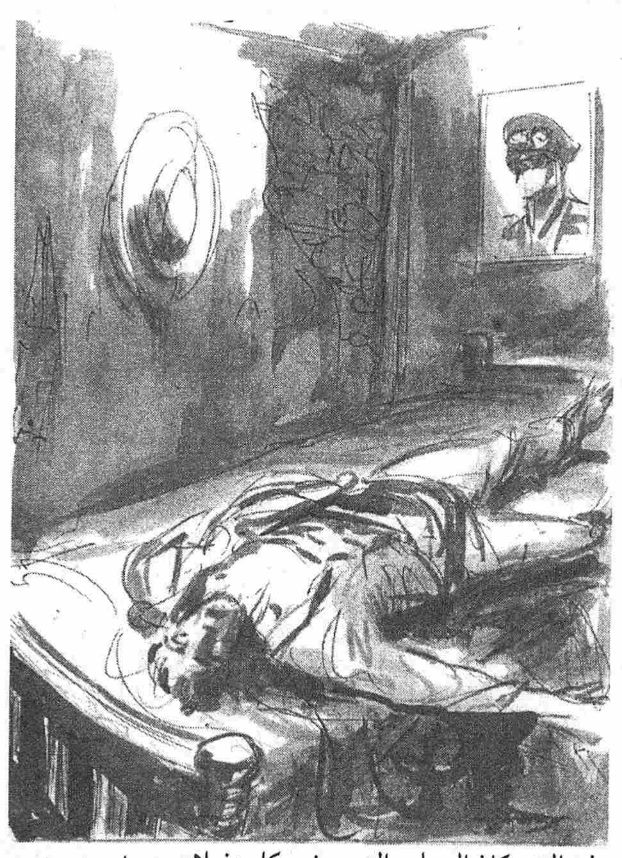
أفاق من نومه وقد تذكر أن .. آى !.. النوبات الصرعية لم تـ .. تصبه منذ وقت طـ .. طوييل .. آى !..

فى البدء كان التصلب المريع يغمر كل عضلات جسده .. يجبره على أن يمدد طوله على الفراش .. ويمدّ كل أطرافه إلى آخرها ..

لحظات يرى فيها الموت بعينه .. ثم تبدأ مرحلة الاهتزازات .. كل طرف من أطرافه يتحرّك حركة ذاتية مستقلة بشعة كذيل سحلية مبتور هنالك فوق الغبار ..

الاختلاف عن نوبات الصرع العادية يكمن فى الوعى .. إنه يظل محتفظاً بوعيه حتى اللحظة الأخيرة .. بل إن شفافية غير عادية تحركه .. شفافية يوشك معها أن ينفذ إلى قلب الكون حيث تنتظر الحقيقة ..

وحين يفيق يشعر كأنه دمية عبث بها صبى مجنون .. رأسه فى ناحية .. وساقه اليسرى معلقة من فخذه الأيمن .. وذراعه اليمنى تخرج من أمعائه ..



في البدء كان التصلب المريع يغمر كل عضلات جسده . . يجبره
على أن يمدد طوله على الفراش . . ويمدّ كل أطرافه إلى آخرها . .

يحتاج الأمر إلى ربع ساعة حتى يدرك من هو وأين هو .. نوبات قال (كالينين) إنها تقوده إلى القبر رويدًا .. الروس يزعمون أنهم يملكون الشفاء .. سحقًا !..

إن (إيجور) لا يهاب الموت ولا يعبأ به .. إنه : (ذكر النحلة !

مستعد للموت الآن .. لكن بشرط أن يموت (جابلر) قبله بربع ثانية ..

★ ★ ★

كانت هناك حانة ..

وكان الظمأ يحرق حلقه بعد نوبة الصرع الأخيرة .. لهذا دخل إلى القاعة المعتمة حيث تفوح رائحة العرق والتبغ الرخيص والخمر الأكثر رخصًا ..

دوت ضحكة ماجنة ـ كصرخة سحلية جاءها المخاض ـ من أنثى تتظاهر بأنها مرحة .. على حين شق (إيجور) طريقه بين السكارى ليجلس إلى مائدة خالية ..

وجاءته الساقية تلوك قطعة من العلك لتسأله باستهتار عما يشرب .. فطلب أن تحضر له زجاجة

كالتى على المائدة المجاورة (بير فافورى) ـ من فضلك ـ وراح يرمق الجو الموبوء حوله ..

كان هناك أمريكيان يلعبان الورق ، وقد التف حشد من البوليفيين يرقبون فى انبهار هذين الكائنين الغريبين .. كيف ينفقان المال بهذه السهولة .. وكيف تبدو ثيابهما أنيقة خالية من القاذورات والرقاع ..

أمريكان هاهنا ؟.. هوووم !.. هذا غريب ..

لربما كان الابتعاد مستحبًّا ..

لكن جولة من (إيجور) فى عقل الرجلين جعلته يدرك أنهما نظيفان .. مجرّد مغامرين أمريكيين يجوّلان فى حديقة الحيوانات هذه .. هما ليسا من رجال وكالة الاستخبارات المركزية ..

أحضرت له الساقية زجاجة وكأسًا .. ثم تركته .. فراح يصب السائل الرغوى فى الكأس .. ثم رفع الأخير لشفتيه حين سمع صوتًا يقول بأمريكية قحَة :

ـ « هيه يا رجل .. هل تفضل الشراب وحيدًا ؟ »

رفع عينًا متسائلة فوجد أحد الرجلين يرمقه فى فضول .. وهنا فطن (إيجور) إلى أنه يبدو أجنبيًّا حقًّا بشعره الأشقر وعينيه عديمتى اللون ، وسط كل

البوليفيين سُمر الوجوه سود الشعور ..

قال (إيجور) وهو يعيد الكأس إلى مكانه :

- « هل أنت أمريكى ؟ »

- « بولندى .. لكنى أفهم الإنجليزية .. »

- « إذن تعال لتجلس معنا .. لن تجد هنا من يجيد البولندية ، فعليك أن تكتفى بمن يتحدثون الإنجليزية .. »

وهكذا !

جذب (إيجور) مقعده وزجاجته واتجه إلى المائدة ، ليجلس وسط النظرات الفضولية تحيط به من الجهات الستّ ..

مدّ الأمريكى يده ليصافحه :

- « كيف حالك ؟ (جون كالمان) .. وهذا زميلى (جارى سيتون) .. »

- « (إيجور تاركوفسكى) .. »

كان الرجلان يمسكان بحفنتين من الأوراق .. أوراق اللعب ..

وكان هناك رجل ثالث أسمر الوجه يمسك بحفنة ثالثة .. وعلى المنضدة تكومت الدولارات ..

قال الأمريكى الأول وهو يشير إلى الرجل :

ـ « صاحبنا (بدرو) تاجر ثرى .. لكنه مقامر ردىء .. وهو لا يجيد سوى الخسارة ..»

ابتسم (إيجور) وراح يرمق سير اللعب .. بالفعل (بدرو) مقامر ردىء يخسر طيلة الوقت .. لكن سماع أفكار الجالسين لأكثر إثارة من متابعة اللعب .. صوت يصرخ فى ردهات عقله بالإسبانية .. ثم صوتان أمريكيان واثقان ..

ـ « لقد وقع الخنزير فى قبضتنا .. إن (كلارا) تلوك العلكة ست مرات ثم تتوقف .. (ستة) ! تلعق بلسانها شفتها العليا .. (بنت) ! تحك أنفها .. (آس) !.. »

« (كلارا) تلوك العلكة عشر مرات ثم تتوقف .. (عشرة) ! آه يا ملاكى .. هلمى ! أعطينا كل ما عندك .. ضحكة جانبية .. إذن فلديه (ولد) .. يبدو أنه ينوى استبقاء الآس إلى النهاية .. حسن .. لن تكون هناك مزايدات على هذا الدور .. إن (جارى) يعرف نفس الشىء الآن .. »

كانت (كلارا) فتاة سمراء فقيرة تقف وراء

(بدرو) وتبتسم ابتسامة بريئة .. وتلوك قطعة علك فى لامبالاة .. كيف عرف أنها فقيرة ؟ لا يدرى .. ربما نحولها والأصباغ الرخيصة التى تلوث وجهها .. وثوبها العارى فى محاولة بائسة للإغراء ..

حتى دون قراءة أفكار عرف أنها فقيرة .. وأنها تلعب هذا الدور المقيت لأنها حقًا بحاجة إلى الأوراق الخضراء التى سيجود بها السيدان الأمريكيان عليها فيما بعد .. حين تنتهى هذه المباراة ..

كانت تداعب بأناملها شعر (بدرو) .. وتلوك العلكة مرات متقطعة مدروسة .. تحك أنفها .. تسدل خصلة من شعرها .. تضحك .. رموز متفق عليها تقول كل شىء عن الورق فى يد (بدرو) لخصميه .. وكانت طبيعية .. حقًا طبيعية إلى حدّ مذهل ..

لم يكن بإمكان أحد ـ سوى قارئ أفكار ـ أن يخمن ..

وهكذا انتهى الدور بهزيمة البوليفى ..

كومة من الأوراق الخضراء تتكدس أمام الأمريكيين .

كان العرق يغمر عنق (جارى) ويبلل صدر قميصه وتحت إبطيه ، حين جرع كوبًا من الجعة ..

وسرعان ما خرج الكوب من مسام جلده عرقًا جديدًا حين سأل (بدرو) :

ـ « أظن أنك راغب فى التوقف الآن يا (أميجو)(*) ؟ »

قال (بدرو) فى عصبية .. وبإنجليزية رديئة جدًا :

ـ « بل أستمر يا (سنيور) .. »

كان فى عينيه ذلك الجنون المسعور .. الرغبة المحمومة فى الاستمرار .. ذلك الذى وصفه العبقرى الروسى (ستويفسكى) خير وصف فى روايته (المقامر) .. وكان من المستحيل أن يتوقف ..

وهكذا بدأ توزيع الورق من جديد ..

غمز (كالمان) بعينه تجاه (إيجور) .. كان هو الأكثر مودة ولطفًا من الرجلين ، لكن هذا لم يمنع (إيجور) من اعتبارهما وغدين يستحقان عقابًا ..

وبدأ الدور التالى ..

رأى (إيجور) عينى (بدرو) ترتفعان ـ ككل مرة ـ ليرمق الفتاة من فوق كتفه .. إن كل فتيات الحانات

(*) يا صديقى .

يتجسسن على ورق لعب من يتظاهرن باللطف معه .. هذا معروف ..

لكن الفتاة كانت واقفة فى براءة أقرب إلى البلاهة .. وعيناها الزجاجيتان ترمقان الأوراق كما يمكن لبقرة أن ترمق أوراق اللعب ..

هنا بدأ (إيجور) لعبته ..

انساب إلى عقل الفتاة وراح يصبّ سيلاً من الأرقام الزائفة .. لم تعد الفتاة قادرة على تفسير ما تراه .. راحت تلوك العلكة مرات أقل أو أكثر .. تلعق شفتيها حين يكون المفروض أن تحك أنفها .. وتسدل شعرها حين يفترض أن ترفعه ..

وكان ورق (بدرو) قويًّا هذه المرة(★) ..

لكن (إيجور) جعل الفتاة تخبر الأمريكيين أنه ورق ضعيف جدًّا .. وهكذا راح الرجلان يرفعان قيمة الرهان .. يرفعان .. يرفعان ..

وكما ارتفعت أحلامهما هوت من عل ليخسرا مبلغًا جسيمًا ..

(★) ملحوظة : لما كان المؤلف جاهلاً بألعاب (البريدج) و(البوكر) فإنه يرجو الصفح عما قد يكون فى وصف اللعبة من أخطاء ..

إن الحظ يتغير ..

لو أن النظرات تقتل لتحولت الفتاة إلى غربال ..
لكن النظرات لا تقتل لحسن الحظ .. وكذلك الأفكار !..

« ماذا أصاب هذه الكلبة ؟.. هل تعبث بنا ؟ »

« لقد كان معه (آسان) ولم تقل شيئًا .. »

وهكذا دارت عجلة الحظ ، ومعها فصول المأساة ..
وكان (إيجور) يتدخل فى عقول الرجال .. يقنع
(بدرو) بشىء ويقنع الرجلين بشىء آخر ويقنع
الفتاة بشىء ثالث ..

فى النهاية جمع التاجر البوليفى مكسبه ودسه فى
جيبه .. ثم نهض فى تؤدة ..

هتف (جارى) فى خشونة دون أن يبدل جلسته :

ـ « لحظة يا (أميجو) .. إنك لن تتصرف هكذا ..
لابد أن تعطينا فرصة لتعويض خسارتنا .. »

قال التاجر وهو يغلق سترته :

ـ « سنيورى .. أنتما لا تجيدان سوى الخسارة ..
ومن الرحمة بكما أن أرحل الآن .. عمتما مساء .. »

وفى هدوء شق زحام المحيطين به متجهًا إلى الباب ..

★ ★ ★

دبابة الجنرال تشق طريقها فى شوارع (وارسو) ..
راتاتاتاتاه ! « هذه الناحية مغلقة ! »
« اخرس !.. إنك تثير أعصابى .. اخرس ! »
راتاتاتاتاه !.. بووم !

★ ★ ★

حينما استعاد الأمريكيان قدرتهما على الكلام ، دعاهما (إيجور) إلى قدح من الشراب لعلهما ينسيان مرارة تحول الصياد إلى فريسة .. وبطرف عينه رأى الفتاة تذوبُ فى الزحام مبتعدة عن سخطهما ..

أدرك أنهما سيشربان حتى الثمالة .. ثم يبحثان عنها ليوسعاها ضربًا .. من يدرى ؟ ربما يخنقانها .. إذن عليه أن ينسيهما خسارتهما بأى شكل ..

وإن هى إلا بضعة أكؤس ـ كما يقول الشعراء ـ حتى التوى لسانا الرجلين ، وانحلت عقدتهما ..

قال (كالمان) لـ (إيجور) وهو يهرش رأسه كقرد :

ـ « لقد خسرنا الكثير من الأخضر أيها الشاب .. إن هذا لشعور قاس بالنسبة لنصابين مثلى أنا و(جارى) »

ثم ضحك إذ رأى تعبير وجه (إيجور) :

ـ « هاهاهاه ! نحن لا نخجل من ذلك .. نحن نصابان نكسب عيشنا من الغش فى اللعب بمعونة تلك الغانية .. دائمًا تجدنا هنا نلعب مع أحد الحمقى .. نتركه يربح عدة أدوار ثم تنهال عليه الخسائر .. ولكن ..... إن الحظ لغانية هو الآخر .. تارة معك وتارة ضدك .. ولا يعلم سبب ذلك سوى .. هى هى ! »

ثم تأمل (إيجور) مليًا .. وتساءل :

ـ « ولكن .. ماذا يفعل بولندى مثلك فى هذا الركن التعس من العالم ؟ »

تأمله (إيجور) باحثًا عن إجابة .. ثم غمغم :

ـ « أبحث عن صديق .. »

ـ « لن تجد أوروبيين هنا .. ربما وجدتهم فى (سانتاكروث) أو (بوتوسى) .. لكن ليس .. هنا .. هى هى ! »

هنا لاحظ (إيجور) أن الأمريكى الآخر ـ (سيتون) ـ كان يرمقه صامتًا طيلة الوقت .. ولم يكن (إيجور) يحب من يرمقه دون كلام .. إنسلّ إلى داخل عقله ليسمع أفكاره :

« إنه يكذب !.. هذا مؤكد ..!.. والأدهى من هذا أنه نحس ! »

كان هذا طبيعيًّا .. من المنطقى أن يعتبره الرجلان نحسًا ..

وهنا انتفض (سيتون) .. وثب من مقعده وشق الزحام بعضلاته القوية حتى وصل إلى هدفه ..

وسمع (إيجور) صراخ فتاة .. ورأى — بين سحب الدخان - (كلارا) تتلوى وقد أمسك (سيتون) عضدها بقبضة قوية ، وضغط على شفتيه بأسنانه ليدلّ على الجهد الذى يبذله كى يهشم ذراعها .. لم يحتج (إيجور) إلى استراق السمع .. فهو قادر على النفاذ إلى عقل (جارى) وعقل (كلارا) دون جهد ..

كان (جارى) يتحدّث الإنجليزية والفتاة كذلك ..

- « أيتها الكلبة .. لقد خنتنا !.. لقد اشتراك (بدرو) هذا بسعر أعلى .. أليس كذلك ؟ »

صاحت الفتاة فى ذعر :

- « نعم يا (سنيور) .. أقسم لك إننى لا أدرى ما دهانى .. »

كان جمع من رواد الحانة يرمقون المشهد لا مبالين ..

وقد أدركوا أن الأمريكى سيبطش بأول من يتدخل ..

ـ « ماذا تعنين ؟ هل تعرفين كم خسرنا بسبب حماقتك ؟ »

ـ « أقسم لك يا سنيور (سيتون) » ـ قالت وسط دموعها ـ « كأن شيئًا ما بلبل أفكارى .. شيئًا زحف على خلايا مخى وجعلنى لا أرى ولا أفهم .. »

هنا توقف الأمريكى عن إيذاء الفتاة .. وقف متصلبًا ونظر نحو (إيجور) .. ثم أطرق إلى الأرض مفكرًا ..

سمع (إيجور) أفكاره بوضوح :

ـ « إن الفتاة لا تخرف تمامًا .. ثمة شىء ما غير مفهوم حلّ بى ، ودفعنى إلى اتخاذ قرارات خاطئة فى كل مرة أردت أن أرمى فيها بورقة رابحة .. شىء ما جعلنى أكثر تهورًا .. شىء ما سيطر على إرادتى .. إن هذا لعجيب ! »

بعد قليل رآه (إيجور) يترك الفتاة الملتاعة .. يشق طريقه عائدًا إلى المائدة .. ينحنى ليجذب (كالمان) من ذراعه :

ـ « هلم يا (جون) .. فلننصرف من هنا .. »

صاح (إيجور) و (جون) محتجين فى نفس الوقت :

ـ « لكن .. الزجاجة لم ... »

ـ « فيما بعد .. فيما بعد .. سنقبل دعوتك يا مستر (تاركوفسكى) على زجاجة أخرى .. ربما زجاجات .. عمت مساء »

ورآهما (إيجور) يبتعدان .. مترنحين قليلاً لكنهما واثقان من خطاهما ..

وكان آخر ما رآه فى ذهن (سيتون) غير مريح .. غير مريح على الإطلاق ..

★ ★ ★

كان غارقًا فى العرق يتنفس بصعوبة .. إن البعوض - ززززززز ! - وافر العدد فى هذا البلد .. ززززززز !.. التنفس عسير حين تنام على ظهرك لكن .. ززززززز !.. لابد من هذا الوضع .. إن الوسادة تعجّ حتمًا بالبق .. وهو لا يريد أن يلامس خده موطئ أقدام تلك الحشد .....

زززززز !.. نعم .. التنفس عسير .. ربما لأن (لاباز) عالية جدًا عن مستوى البحر .. مستوى الأكسجين قليل .. زززززززز !

إنه نائم .. بالتأكيد نائم .. لكن وعيه متيقظ بشدة .. والآن يسمع صوتًا يناديه :

- « (إيجور) .. (إيجووووور) ! »

كان مغلق العينين لكنه - بوضوح - رأى صاحب النداء .. وعرف أن هذا جزء من الحلم ..

- « (شندلر) .. هذا أنت ؟ كيف وجدتنى ؟ »

كان (شندلر) يقف بقميص ممزق ملوث بالدماء ، وقد تهشم عنقه فسقط فى إهمال إلى جانبه ليتدلى



كان مغلق العينين لكنه ـ بوضوح ـ رأى صاحب النداء ..
وعرف أن هذا جزء من الحلم ! . ـ (شندلر) ؟! ..

على الكتف الأيمن .. لكنه كان يتكلم .. وكان يبتسم :

- « (إيجور) .. ليست هناك مستحيلات فى عالم الأرواح .. إن شفافيتنا مطلقة .. وشفافيتك كذلك مطلقة .. هل نسيت لقاءك مع آل (كيلى) فى ليلة الكوخ إياها ؟ إن ذوى الإدراك الفائق للحس يتلقون إرسال الأرواح كأنهم جهاز مذياع جيد .. »

حاول (إيجور) أن يبدو رقيقًا .. فهمس :

- « صدقنى يا (بيتر) .. أنا آسف لما حدث لك .. لم يكن فى مقدورى أن أسدى لك العون .. »

صاح (شندلر) فى حنق :

- « لن تكون أكثر أسفًا منى .. لقد كانت حياتى جميلة وملأى بالفرص .. كان المستقبل كله فى انتظار رجل الأعمال الوسيم الذكى .. وفجأة سرقوا كل هذا منى .. سرق الكون منى فى لحظة سهو .. والآن ..... »

وتهدّج صوته قليلاً :

- « قد صار جسدى الوسيم هيكلاً عظميًّا تعمره الديدان .. وصار وعيى شبحًا يجوب عوالم شفافة لا حدود لها .. (إيجور) .. إننى غير معتاد على الحياة

بهذه الطريقة .. أعنى غير معتاد على (عدم الحياة) بهذه الطريقة .. »

- « ستتعود يا (بيتر) .. صدقنى .. »

ثم حاول أن يبدل الموضوع :

- « هل المخابرات السوفييتية هى المسئولة عن مصرعك ؟ »

ظهر الحزن على الوجه المتدلى .. وغمغم :

- « لا .. ولا المخابرات الأمريكية .. لم يكن أحد مسئولاً عما حدث .. كنت أرعن فحسب .. لحظة سهو جعلتنى أعبر الطريق دون أن ألاحظ السيارة القادمة .. تصور مدى تفاهة هذه الميتة .. مجرد غباء منى جعلنى أنتهى .. »

- « وهل أبلغت الجنرال (فرايدمان) ؟ »

- « لا .. لم أجد الوقت الكافى ولم أرد أن أتصل به من المكتب .. كنت أعبر الطريق مسرعًا لأقصد الجنرال بسيارتى »

- « وماذا يقولون عن الحادث ؟ »

- « كل شىء مريب .. التوقيت .. شهادة السكرتيرة أن من يدعى (تاركوفسكى) طلب مقابلتى .. بعدها

غادرت المكتب مسرعًا لتدهمنى سيارة .. ثم اختفاؤك .. يقول الأمريكيون إنك عملت مع المخابرات السوفييتية وأن وفاتى جريمة قتل تمت بعد استدراجك لى ، وهم يعلمون بالطبع أنك فى (بوليفيا) .. »

أحسّ (إيجور) بأنه يوشك على الاختناق .. لم يكن لهواء (بوليفيا) دور فى هذا الشعور هذه المرة ..

سأل (شندلر) فى تردّد :

- « و .. والسوفييت ؟ ماذا عن (ديمترى كالينين) ؟ »

- « بالطبع هم لا يفهمون شيئًا على الإطلاق .. يحسبون قتل (شندلر) مؤامرة من المخابرات المركزية لسبب ما .. ربما لأنه يعرف أكثر مما ينبغى .. لا أحد يعرف .. لكنهم يقينًا يعرفون أنك فى (بوليفيا) !»

- « يا للكارثة ! »

- « لا تقتنط .. فهم لا يعرفون مكانك .. »

مرت هنيهة صمت .. بعدها تساءل (إيجور) :

- « والجنرال ؟.. هل هو هنا ؟ »

- « (فزايدمان) ؟ »
- « بل (جابلر) .. (سيدلتز جابلر) .. »
ابتسامة مريرة على ثغر (شندلر) .. ثم :
- « نعم هنا .. لقد كنت أعبث بك .. »
- « لكن الورقة .. كنت صادقًا فى كتابتها .. »
- « لا تنس موهبتى فى إخفاء مشاعرى .. إن الأمريكيين يعرفون مكان الجنرال بدقة .. لكنك لم تلق قط من يعرفه سواى .. كانت هذه طريقتهم لتعتيم الأمور على موهبتك .. »
ثم إن (شندلر) تنهد .. وأمال رأسه ليريحها على الكتف الآخر .. وقال فى حياء :
- « والآن .. حان الوقت لإظهار حسن نواياى .. إن الجنرال (جابلر) هنا فى (بوليفيا) .. بالتحديد فى قرية تدعى (سان راموس) .. على حدود (بوليفيا) مع (بيرو) .. على ضفاف بحيرة (تيتياكاكا) .. وسط جبال الإنديز الوعرة .. »
اتسعت أذنا (إيجور) إن صح هذا التعبير .. راح يصبّ كل هذه الأسماء فى ذهنه .. لن ينساها .. مستحيل .....

ـ « بالطبع يعيش باسم مختلف .. »

ـ « حتمًا .. إنه يتظاهر بأنه عالم آثار يدرس حضارة (الإنكا) .. ويزعم أنه دانماركى .. إن الفوارق بين الألمان والدانماركيين غير واضحة لدى القرويين .. ثم إنه يتحدّث الإسبانية بطلاقة ومن العسير أن يجد من يمتحنه فى اللغة الدانماركية .. »

ـ « وكيف هربَ من ألمانيا بعد الحرب ؟ »

ـ « لم يفرّ بعد الحرب .. ولكن فى أثنائها .. فهو من المشاركين فى (مؤامرة الجنرالات) التى كادت تغتال (هتلر) .. ولو لم يفرّ من ألمانيا لمزقه (هتلر) إربًا وأطعمه للكلاب .. »

ـ « تقريبًا نفس المصير الذى ينتظره على يدى .. »

ـ « يقال إنه أحس بمحاولة اعتقاله مبكرًا جدًّا .. كأنه نوع من الحاسة السادسة أنقذه من هلاك محقق .. »

راحت الرؤيا تتشوه بالتدريج .. الضباب يزحف من كل صوب ليحاصر صورة (شندلر) لكن (إيجور) ظل يسمع الصوت .. شعور غريب داهمه بأنه يريد ضبط الهوائى لتتحسن الصورة .. لكن لا يوجد فى

عقله هوائى .. ولو كان هناك فهو لا يعرف موضعه ..
صاح (شندلر) محاولاً أن يقهر التشتت الذى يحدث :
- « الآن يا (إيجور) ينتهى لقاؤنا .. لكنى سأعود مرارًا .. ثمة أشياء يجب أن تعرفها قبل المواجهة .. لا تثق بالأجانب هنا بتاتا .. لا تترك لأفكارك العنان .. فأنت لا تعرف ما إذا كان هناك Espers آخرون فى (بوليفيا) .. وداعًا يا (إيجور) ! »
- « وداعًا يا (بيتر) .. لا تدع الموت يحرمك من الأمل ..! »
قالها وندم عليها كثيرًا .. تبدو مزحة ثقيلة بالنسبة لشخص ميت فعلاً .....
ززززز !.. البعوض يتزايد .. ززززز !.. حرك يده .. هرس بعوضة وقفت على جبينه وقد تورطت أقدامها فى بحيرة العرق ..
ززززز !.. هذه المرة رحل وعيه بعيدًا ..

★ ★ ★

- « أريد الوصول إلى بحيرة (تتياكاكا) .. كيف يكون ذلك ؟ »

رفع موظف الفندق وجهه الكئيب عن الأوراق التى يطالعها .. وتأمل وجه (إيجور) هنيهة ..

بعد صمت قال وهو يعود إلى دفتره :

ـ « بطائرة (تاكسى) يا سنيور .. إن المواصلات هنا نادرة والطرق وعرة .. لهذا نعتمد على الطائرات .. ستجد المطار فى (كويدا دل مارا) .. »

ـ « حسن .. أريد تسوية حسابى هنا .. فأنا راحل .. »

مرة أخرى رفع الموظف عينيه ليتأمل (إيجور) :

ـ « هناك كثيرون يسألون عنك .. كلهم يأتون ليتأكدوا من وجودك هاهنا .. ثم يرحلون دون تعليق ! »

ارتفع الدم إلى وجه (إيجور) :

ـ « حقًا ؟ إذن لا أريد منك ثرثرة بخصوص (تتياكاكا) هذه .. اعتبر أننى لم أسألك عن شىء .. »

ـ « هذا شعارنا يا (سنيورى) .. الصمت .. »

لكن هذا لم يكن كافيًا ..

كان (إيجور) يعرف أن الأحمق سيتكلم حين يرى أول ورقة بعشرة دولارات ، أو حين يرى فوهة

مسدس مسلط على رأسه .. لهذا وجد أن الحيطة تقضى أن يقتحم عقل الموظف .. ويطارد هذه المعلومة ليمزقها إربًا ..

وقد كان الأمر سهلاً . ففى داخل عقل الرجل وجد لفظة (تتياكاكا) ، فبعثرها يمينًا ويسارًا . ثم وجد مجموعة من الرجال ذوى المظهر المريب يتساءلون عن (إيجور) .. استطاع أن يميز بينهم أحد الحارسين اللذين كانا مع (ديمترى كالينين) .. كما عرف فى واحد منهم (جارى سيتون) الأمريكى الذى كان يلعب الورق فى الحانة فى أول ليلة قضاها هنا ..

هذا غريب ..!

على كل حال غادر (إيجور) عقل الموظف ، ليجد نفسه فى الخارج يحدق فى العينين الشاردتين للرجل ..

ـ « هل دهاك خطب ما ؟ »

انتبه الموظف مذعورًا من سباته فهزّ رأسه كأنما يطرد ذبابة .. وقال :

ـ « أ .. معذرة .. لحظة شرود يا سنيورى .. لقد .. أ ... »

ـ « لا عليك .. إننى راحل الآن كما قلت لك .. »

- « إلى أين يا (سنيورى) ؟! »

ابتسم (إيجور) راضيًا عن نتيجة عمله .. وبغموض غمغم :

- « إلى .. إلى (أورورو) ! »

★ ★ ★

لم يكن الطيار (ميشيل بارساد) فى حالة تسمح بالمزاح ، حين جلس فى الكافتريا يرشف القهوة وقد أراح حذاءه ذا الرقبة على المقعد أمامه ..

إن ما معه من نقود ينفد بسرعة ، ولم يعد هؤلاء الحمقى يسافرون كما كان يحدث فى الأيام الخوالى .. إن مهنة قائد طائرة (تاكسى) ليست مجزية على الإطلاق ، خاصة حين تجد نفسك فى هذا الركن من العالم من أجل لاشىء ..

وتنهد .. رفع وجهه إلى السماء وغمغم :

- « ربّاه .. أرسل لى واحدًا .. واحدًا فقط .. »

ابتسم الساقى البدين (كيلفورد) ومضغ سيجاره بين ضروسه ، وقال وهو يجفف المائدة بمنشفته :

- « ومن يكون هذا الأحمق ؟ »

لم يطل الوقت قبل أن يتلقى الردّ على سؤاله .. إذ

انفتح باب الكافتريا ودخلها (إيجور) حاملاً حقيبة كبيرة :

ـ « معذرة .. ولكن من صاحب الطائرة الواقفة بالخارج ؟! »

★ ★ ★

محركات الطائرة العتيقة تهدر منذرة بتحولها إلى ألف قطعة .. الطائرة التى كتب على جناحها بخط كبير (مادلين) ..

ومن بعيد تفتح مرتفعات (الإنديز) ذراعيها كاشفة عن أسرارها .. كل شىء يزداد وضوحًا .. والشمس تتألق فى عيون الراكبين فتتقلص الأهداب وتغطى العيون غشاوة من الدموع ..

يسأل (بارساد) زبونه قليل الكلام :

ـ « لا تبدو أمريكيًّا ولا إنجليزيًّا ؟ »

ـ « أنا من أوروبا الشرقية .. »

ـ « وماذا تفعل هنا ؟ »

يتمنى (إيجور) أن يصارحه بأن هذا ليس من شأنه ، ولكنه لا يرى للغلظة داعيًا على الأقل حتى لا يثير المزيد من الشكوك ..

فيقول بصوت عال يحاول به أن يتغلب على هدير المحركات :

- « نفس ما تفعله أنت الفرنسى هنا ..! »

- « تكسب رزقك ؟ »

- « نعم .. أنا أعمل فى عالم الآثار .. »

ارتفع (بارساد) بالطائرة قليلاً .. وصاح :

- « آه !.. أعرف هذا النوع من العمل .. أنت لا تفعل شيئًا تقريبًا سوى الجلوس فى الظل والصراخ فى العمال كى يحفروا أكثر .. ثم تجد تمثالاً مهشمًا فتأخذه وتزيل التراب من عليه .. بعدها تغدو ثريًا وتتزوج من (أجاثا كرستى) ! »

- « لماذا (أجاثا كرستى) ؟ »

- « كل علماء الآثار يتزوجون من (أجاثا كرستى) .. هذه حقيقة واقعة .. صدقنى ! إننى رجل أعرف العالم .. رجل واسع الثقافة ! »

ابتسم (إيجور) دون حيلة منه ..

وراح يراقب الجبال الوعرة التى تركض تحت الطائرة ، وقد سقط ظل الطائرة فوقها كنسر عملاق فارد جناحيه ..

ومن بعيد يرى البحيرة .. ويرى القرية ..

- « هذه هى (تتياكاكا) يا صديقى .. أعلى بحيرات العالم .. نصفها فى (بيرو) ونصفها فى (بوليفيا) .. وها هى ذى قرية (سان راموس) .. استعد للهبوط إذن .. »

- « هل يوجد مطار ؟

- « إنك تسأل أسئلة غريبة .. ما دخل المطار بالموضوع ؟! »

- « حسبت أننا فى طائرة .. »

- « آهاه !.. كل هذه القرى يوجد بها فناء مدرسة أو ساحة كنيسة تسمح بهبوط الطائرات .. سترى ! »

وعرف (إيجور) أن هناك بيتًا أبيض فاخرًا يتوسط أكواخ القرية الحقيرة ومبانيها المتهدمة .. عرف هذا بينما الطائرة تحوّم استعدادًا للهبوط ..

عرف كذلك أن (جابلر) فى هذا البيت ..

لا شك فى هذا .....

★ ★ ★

الجزء التاسع

(سان راموس) - ١٩٦٣

إن العثور على من يتحدث الإنجليزية أو الألمانية أو الروسية أو البولندية عسير جدًا فى جبال الإنديز .. هذا هو النحس الخاص بـ (إيجور) .. برغم إجادته لأربع لغات إلا أنه يحتاج دومًا إلى اللغة الخامسة .. ولو كان يجيد الإسبانية لوجد الجنرال قد فرّ إلى الصين أو فولتا العليا ..

كان هناك أدلاء فى القرية .. وكان هؤلاء يتكلمون إنجليزية رديئة جدًا لكنها مفهومة ..

- « فندق .. أريد أنا .. نوم فى .. أميجو .. »

هذه هى الطريقة المثلى ليفهمك من يتحدث إنجليزية رديئة .. عليك أن تستخدم إنجليزية أكثر رداءة ..

وكان الجواب سريعًا :

- « فراش .. حانة .. (داماسوس) .. »

وكان هذا الفتى سمسارًا يرتدى قبعة من القش ، و(فانلة) داخلية ممزقة .. وقد اعتاد أن يتكلم وقد أحنى ظهره مداهنة ورياء .. ولربما خلع القبعة متظاهرًا بالأدب الجم ...

وفى الحانة وجد (إيجور) عملاقًا أسمر هو (داماسوس) ، له زوجة ناحلة سمراء تعلق صليبًا ضخمًا فى عنقها .. وبمعاونة الدليل حصل على الفراش الوحيد فى الحانة ، وهو لم يكن أكثر سوءًا من الفراش الذى كان ينام فوقه فى فندق (باراديسو) بالعاصمة .. بل كان عدد البق أقل لحسن الحظ ...

وهكذا ...

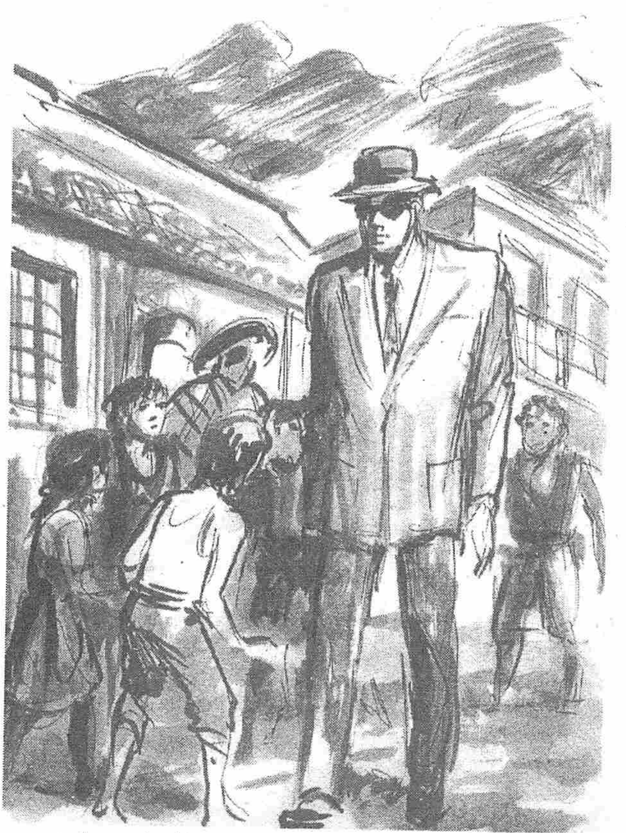
ما إن قام بتبديل ثيابه حتى غادر الغرفة .. وخرج إلى الشمس الساطعة بالخارج يتأمل قمم الجبال القصية ..

كان هناك حشد كبير من أهالى القرية يحيطون به وفى عيونهم فضول من لايجد ما يشغله .. لابد أن قدومه هنا سيصير مناسبة قومية يتم التأريخ بها ...

وعشرات الأطفال الحفاة ينادى بعضهم البعض صارخين حتى لا يفوتهم هذا الحدث الجسيم : غريب !

تجاهل العيون الفضولية ونادى أحد الشباب الواقفين .. وأشار إلى الفيللا البيضاء التى تشكل نواة القرية .. ورسم فى عينيه نظرة متسائلة ..

هتف الشاب فى حماس :



وعشرات الأطفال الحفاة ينادى بعضهم البعض صارخين
حتى لا يفوتهم الحدث الجنسيم : غريب !! . .

ـ « آ ه !.. إل بروفسـيورى .. إل بروفسـورى (فريدركس) » .

ثم انطلق فى شرح تفصيلى بالإسبانية لم يفهم منـه (إيجـور) حرفًا .. لكنـه شـق طريقـه كـالمفتون بيـن البشر المحيطين به قاصدًا الفيللا .. الفيللا التى يعرف إنها تحوى هدف حياته .. الحلم الذى انتظره عشـرين عامًا أو أكثر ....

حدسه يؤكد لـه أن البروفسور هو الجنرال (جابلر) بعينه .. أليس اسم (فريدركس) اسمًا دانماركيًّا ؟

وحـده هـو والجنرال فـى هـذه القريـة المنعزلـة .. تصفيـة حسـاب الأعـوام دون تدخـل مـن أحـد .. إن دهشة القوم وفضولهم يدلان على أن أحدًا لـم يسبقه إلى هنا منذ زمن ..

حتمًـا سيلحق بـه الأمريكـان والسـوفييت .. لكنهـم سيصلون بعـد فـوات الأوان .. وعندئـذ لـن يجـدوا وسيلة للضغط عليه .. لأنه حين يفرغ من الانتقام لـن يهاب شيئًا ...

★ ★ ★

كان هناك جرس ..

وفى اللحظة التالية شعر بالغضب .. رأى صورته دون ألوان ومن وجهة نظر منخفضة .. كان قد اعتاد هذا المشهد وعرف أنه يرى نفسه من عينى حيوان .. كلب على وجه الخصوص ثلاثة كلاب (دوبرمان) تنبح من وراء البوابة واللعاب يتناثر من أشداقها ..

ثم سمع من ينهر الكلاب ، وجاء خادم أسمر ضخم الجثة صموت ، كى يجذب الكلاب من أعناقها ليبعدها عن البوابة .. وسمع صوت جنازير .. ثم رأى وجه الخادم ينظر له متسائلاً ..

قال فى صوت هادئ :

ـ « إل بروفسورى .. بيروفافورى .. »

سأله الرجل عن شىء ما بالإسبانية .. فهزّ هذا رأسه كناية عن عدم الفهم .. ولم يطل الحديث لأن الرجل أولج مفتاحًا فى البوابة .. وبعد قليل وجد (إيجور) نفسه يمشى فى ممر طويل قاصدًا البيت الأبيض الأنيق الذى رآه من الطائرة ...

قاعة انتظار فاخرة تزدان بقطع أثرية .. رماح .. سيوف .. خوذات إسبانية من عهد (كورتيز) .. تماثيل

(إنكاس) .. دروع كـان رجـال (بـيزارو) يرتدونـهـا حين كان اسمهم (الآلهـة البيض) وكـانوا يحكمـون أمريكا الجنوبية بالحديد والنار ..

بعد قليل رأى (إيجور) من يهبط فى الدرج قادمًا من الطابق العلوى .. كان يرتدى روبًا حريريًا قصـيرًا من الطراز الذى يرتديه الأوغـاد فـى السينما .. فـوق القميص وربطة العنق ..

كان وجهه فى الظل .. لكن (إيجور) سمع صوتـه الرخيم يتحدث الإنجليزية :

ــ « مرحبًا بك يا سيدى .. إننـا لا نـرى ضيوفًـا كثيرين فى هذا البلد .. لهـذا وصلتنـى أخبـار وصولـك قبل أن تمس عجلات الطائرة الأرض .. »

وهنا دخل دائرة الضوء ..

وأدرك (إيجور) أنه هو .. هو الجنرال (جـابلر) .. لن ينسى أبدًا هذه الملامح الجامدة والعينين الميتتيـن ، اللتين تأملهما يوميًا قبل أن ينام ولمـدة خمسـة عشـر عامًا أو أكثر ...

كـان قد شـاخ حقًـا .. هـو الآن فـى السـبعين مـن عمـره .. لكنـه متين البنيـان ، وقد وضع على عينيـه

منظارًا ذا إطار من المعدن المذهب .. ودس فى فمه غليونًا ليبدو كعالم ممن يُرسمون فى القصص المصورة ....

قال (إيجور) محاولاً انتزاع نفسه من

(راتاتاتاتاه ! آختونج !)

فيضان الأفكار الذى

(هذه الجهة مغلقة !)

يحاصره ، والذى لا يترك له

(اخرس ! أنت تثير أعصابى ! اخرس !)

فرصة كى يجد ما يقول :

ـ « سيدى .. أنا عالم آثار من أصل ...أ.. سويدى .. لكنى ترعرعت فى الولايات المتحدة .. حين جئت إلى هذه البقعة قيل لى إن هناك أستاذًا فى الآثار ها هنا .. هو أنت .. تجدنى لهذا مندهشًا .. إنها مصادفة أجمل من أن تكون حقيقة .. »

نظرة مدققة فى العينين الزرقاوين .. ثم :

ـ « حقًا أيها الشاب .. إن المصادفات الجميلة لا تحدث أبدًا »

وساد الصمت هنيهة .. ثم تحرك الرجل ليجلس إلى

إحدى الأرائك ، ودعا (إيجور) إلى الجلوس ..
وأعاد إشعال غليونه غير مبال بنظرات (إيجور)
الملهوفة التى تتفحص كل جزء فى كيانه ..
بهاتين اليدين أصدر الأمر للدبابات كى تنسف دارك .
بهذا الصوت الرخيم أمر رجاله أن يطلقوا الرصاص على أمك ..
بهاتين العينين الباردتين تأمل جيرانك البولنديين وهم يموتون ..
بهاتين القدمين مشى عائدًا ليركب فى المقعد الجانبى للدراجة البخارية ، تاركًا جنوده ينهون مهمتهم ...
بهذا الـ ....
ـ ما اسمك يا بنى ؟ »
أفاق (إيجور) من شروده .. فهتف يجيب :
ـ « اسمى هو .. هو (سيورن) .. (سيورن بيرمان) .. لا بد أنك قرأت بعض الأوراق العلمية التى نشرتها .. »
ابتسامة غامضة شاعت فى وجه الرجل خلف دخان التبغ ، وهو يقول فى تؤدة :

- « بالطبع ..!.. إن اسم (بيرمان) لمن الأسماء المرموقة بين شباب الأثريين .. »

تأمله (إيجور) فى حيرة .. بالطبع لم ولن يوجد من يدعى (بيرمان) بين علماء الآثار .. كلا الرجلين نصاب لكن لماذا يجاريه الجنرال فى كذبه ؟ بالتأكيد هو يعابثه .. بالتأكيد هو يرتاب فى أمره .. لقد قضى الرجل أعوامًا طوالاً يختبئ فى هذا الركن من العالم ينتظر أن يجده الحلفاء فى أية لحظة كى يرغموه على دفع ثمن جرائم الحرب التى ارتكبها ...

بالتأكيد هو يخشى الغرباء ويهابهم .. بالتأكيد هو وافق على لقاء (إيجور) كى يعرف ما وراءه .. إن جرائم الحرب لا تسقط بالتقادم ، وهو خير من يعرف هذا .. يعرف ما حدث لزملائه فى محاكمات (نورنبرج) ويعرف أن (هيس) ما زال سجينًا لدى الحلفاء بعد كل هذه الأعوام ، ويعرف أن اليهود لم يتركوا نازيًّا حيًّا طليقًا .

كيف له أن يثق بغريب بعد هذا كله ؟

جاء الخادم بصينية عليها إبريق شاى وأقداح وبعض السكر .. وبحركات متصلبة صبّ قدحًا وناوله لـ (إيجور) .. وقدحًا آخر ناوله للجنرال ..

هنا قرر (إيجور) أن الوقت قد حان كى ينهى هذه المأساة .. سيقتحم عقل الجنرال ويفجره الآن ....

بدأ محاولة الاقتحام .. ها هى ذى البوابة التى علمه د. (إدوارد مالكولم) أن يبحث عنها .. سيفتحها ويدلف إلى عقل الرجل ..

لكن .. هذا غريب ! إن كل محاولاته للاقتحام تبوء بالفشل .. ما زال الرجل جالسًا يرتشف الشاى فى وقار دون أن ينظر إليه .. يلهث (إيجور) .. يحاول من جديد ..

وفجأة سمع صوت الجنرال يهتف بالألمانية فى عقله هو :

« ماذا ؟ إذن فالأمر هكذا ؟ جاسوس أفكار !

صبرًا يا صديقى .. لقد اقترفت خطأ جسيمًا حين حاولت اقتحام عرين الأسد .. والآن لقد أردت ذلك .. ليكن !! »

★ ★ ★



لكن .. هذا غريب ! إن كل محاولاته للاقتحام تبوء بالفشل ..
مازال الرجل جالسًا يرتشف الشاى فى وقار دون أن ينظر إليه ..

لقد فهم الموقف متأخرًا ...

لقد كان الجنرال هو نفسه esper ! من نوع متفوق حقًا .

لم يخطر هذا بباله قط لكنه حقيقى ...

لقد عرف الرجل أن هناك من يحاول إختراق عقله ، وبالتأكيد سمع خواطر (إيجور) من البداية .. لقد كان يعابثه كقط يتمطى جوار الفأر قبل أن يزدرده ...

★ ★ ★

« يقال إنه أحس بمحاولة اعتقاله مبكرًا جدًا .. كأنه نوع من الحاسة السادسة أنقذه من هلاك محقق »

★ ★ ★

« إن الـ espers كثيرون يا (إيجور) .. أكثر مما تظن .. لأنهم لا يعلنون عن أنفسهم .. »

★ ★ ★

كان الجنرال بالداخل الآن !

شعر (إيجور) به داخل عقله هذه المرة .. يمشى فى ردهاته بحذائه ذى الكعب العالى محدثًا جلبة .. كان يتقدم بإصرار فى الداخل وهو يزمجر بالألمانية :

« يا لك من غرير ! تحاول اقتحام عقلى أنا ؟

لقد فررت من جهاز الجشتابو إبّان الحرب .. ومن كل مخابرات الحلفاء بعدها .. والآنٍ تريد أن تقتحم عقلى أنا ؟ يبدو أننا سنمرح قليلاً يا فتى ! »

وسمع (إيجور) صرير أبواب عقله تنفتح واحدًا بعد الآخر .. كل شىء ينكشف للرجل .. مذبحة (وارسو) .. العم (أندريه) .. عائلة (كيلى) .. معركة المدرسة الثانوية مع (هارى كارلسون) .. (لارا) تصرخ فى خجل وتغطى ساقيها .. الجنرال (فرايدمان) يشعل سيجارًا آخر .. (هاثاواى) يفقد رشده .. المطاردة فى شوارع (واشنجتون) .. و(إيفان زاروف) و (بودونسكى) .. (كالينين) يقدم عرضه .. سيارة مندفعة تحطم جسد (شندلر) .. لعبة القمار فى إحدى حانات (لاباز) .. ثم طائرة (بارساد) الفرنسى تخرج من أحد الأبواب ومحركاتها تئن .. و .. كلاب الدوبرمان تنبح ..

« ما كل هذا ؟ يا لها من حياة حافلة ! (إيجور) .. أرى أنك قد عشت لهدف واحد طيلة حياتك هو تدميرى .. لكنك لم تحسن تقدير خصمك .. إنها لمفاجأة غير سارة أن تجده

يتمتع بذات موهبتك .. ربما يفوقها .. (إيجور) .. إننى أتفوق عليك .. هل تشعر بهذا ؟ أنت فى قبضتى كهرة وليدة عمياء ! »

هذا حق للأسف .. للمرة الأولى يشعر (إيجور) بالتدنيس الذى تحدثه عملية اختراق عقلك .. أخص وأدق ذكرياتك تغدو مشاعًا .. وفى ردهات عقلك المقدسة تسمع فحيح الصوت الجشع المتهكم والخطوات الواثقة العدوانية و ....

« ليس جديدًا علىّ أن السوفييت والأمريكان يعرفون مكانى .. فأنا لم أعد أمثل خطرًا بالنسبة لهم ، ولم يعد هناك من يهتم بأن يجدنى .. لقد كفوا عن مضايقتى منذ زمن .. والآن .. حان الوقت كى .. »

كان (إيجور) يعرف ما سيحدث ..

الرجل يبحث عن الباب الذى يقود إلى عقله الباطن .. وعندئذ يدمره تدميرًا ويتهاوى بنيان عقل (إيجور) إلى الأبد .. يجنّ ويتحول إلى مسخ مثلما حدث لـ (هاثاواى) والزنجى و (بودونسكى) .. الأسوأ هنا هو أن الجنرال كان يطلع على هذه الأفكار أولاً بأولاً .

كان (إيجور) يفكر :

« سأقاوم .. إنه لم يصل إلى عقلى الباطن بعد .. »

عندئذ كان صوت الجنرال يتردد فى عقله :

« لكنى سأصل إليه .. بضع ثوان وأكون هناك .. صبرًا !

إن هناك دبابات نازية عديدة فى عقلك كلها كانت تحت قيادتى .. سآمر واحدة منها بأن تنسف باب عقلك الباطن .. وعندئذ تصير لى »

كان يتحدث بنفس الوقار والبرود ؛ فلا تجد فى كلامه أى نوع من التشفى أو الانفلات .. العسكرى النازى الذى يتكلم ويتصرف كآلة مازال حيًّا بداخله .

« ولكن لحظة .. أريد أن أرى ما وراء هذا الباب ... »

وشعر (إيجور) باليد الصلبة الصارمة تمسك بمقبض الباب فى مكان ما من عقله .. لم يكن هو نفسه يعرف ما وراء الباب ..

وفى اللحظة التالية سمع صوت الصرير .. وسمع صوت (شندلر) !..

كان الألمانى ينتظر فى هذه الغرفة طيلة الوقت ، وأحس (إيجور) بشىء من التردد والارتباك فى سلوك الجنرال .. قبضته تتخلى عن سيطرتها على عقل (إيجور) بعض الشىء ..

« من .. من أنت ؟ »

« اسمى (بيتر شندلر) .. ألمانى مثلك يا سيدى الجنرال .. لا تحاول اقتحام عقلى فأنا مصمت لا يمكن اختراقى .. لا تحاول قتلى فأنا ميت بالفعل .. ألا ترى عنقى المهشم ؟! »

وفى اللحظة التالية التحم (شندلر) مع الجنرال فى صراع محموم داخل طرقات عقل (إيجور) .. وسمع (إيجور) الأول يصيح به :

« (إيجور) !.. عليك بالفرار !.. ابتعد عن الفيللا .. فهو لن يتمكن من السيطرة عليك إذا ما نأيت عنه .. أسرع ! إنه مشغول بى فلن يتمكن من أن ...... »

كان هذا صحيحًا ...

استعاد (إيجور) سيطرته على وعيه ليجد الجنرال يجلس أمامه ساهمًا .. عيناه متسعتان وقدح الشاى

مازال فى يده .. لكنه كان يخوض حربًا عاتية مع الألمانى الآخر ..

إنها فرصتك الأخيرة يا (إيجور) ..

غادر هذا المكان قبل أن يستعيد الجنرال قواه ...

بحث (ايجور) حوله عن شىء يصلح لتهشيم رأس الجنرال .. أو ربما اكتفى بخنقه .. لكنه كان مبلبل التفكير تمامًا ..

« لاتحاول يا (إيجور) ... سيتمكن من السيطرة عليك قبل أن تفعل .. اركض ! اركض كأن الجحيم يطاردك ! »

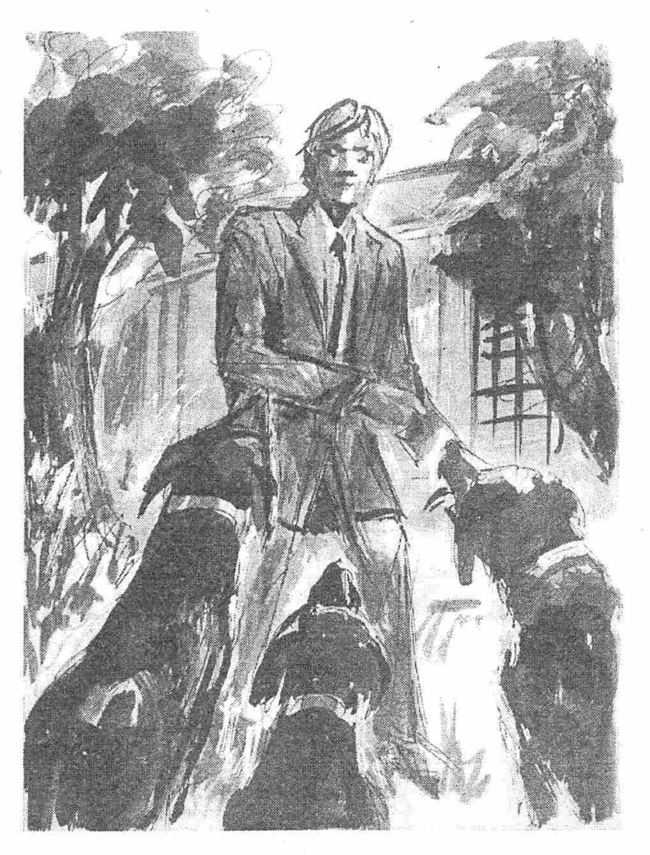
وقد كان ..

رمى (إيجور) قدح الشاى من يده ، ووثب قاصدًا باب الفيلا .. راح يركض فى الممر .. ومن خلفه سمع صوت النباح ..

كلاب (الدوبرمان) طليقة فى الحديقة إذن !

يرى صورته من الظهر ومن زاوية منخفضة .. هكذا تراه الكلاب الآن .. لا يوجد وقت كاف للوصول إلى البوابة ..

واستدار (إيجور) .. ركزّ عينيه فى عيون الكلاب الغاضبة ... اقتحم عقولها .. لم تكن هناك غرف



واستدار (إيجور) . . ركّز عينيه فى عيون الكلاب الغاضبة . .

ولا ردهات .. كانت هناك غابات ملأى بالحواس الأولية : الشهوة .. الغضب .. الجوع .. الرضا .. روائح من كل صنف تفعم المكان .. هذه هى ذكريات الكلاب الأساسية : الروائح .. راح يقتلع الأعشاب ويمزق الغصون ويحدث أكبر تلف ممكن ..

وحين خرج من عقول الكلاب وجدها ترمقه فى ذهول وقد تدلت ألسنتها للخارج ، وأقعت على مؤخراتها .. هل أصابها الخبال ؟ لا يدرى حقًا لكنه على الأقل قد ربح وقتًا ..

وقتًا يكفيه لتسلق البوابة والقفز إلى الخارج .. دون أن يجد ساقه بين أنياب كلب ثائر ....

وهكذا ..

وجد نفسه خارج الفيللا وقد سقط على ركبتيه فى الغبار ..

استجمع قواه وراح يركض مبتعدًا عن هذا الموضع الرهيب ...

★ ★ ★

لم يكن ثمة مكان يقصده سوى الحانة ...

صعد إلى الطابق العلوى .. وارتمى على الفراش يلهث .. كانت هناك نوبة صرعية قادمة ...

ها هى ذى ! التصلب يجتاح كل جزء من جسده .. ثم تبدأ الانتفاضات .. التقلصات .. الرجفة .. الرحمة ! لا ...

ووسط ضباب الرؤى رأى (شندلر) يقترب منه ، وعلى وجهه تلك البسمة المريرة ..

استجمع قواه .. وصاح فى وهن :

ـ « (بيتر) ! هأنتذا ! لن تعرف أبدًا مدى امتنانى لك .. لقد أنقذتنى ... آه ه ! »

قال (شندلر) بصوت رتيب :

ـ « يسرنى أن أسدى لك ما بوسعى يا (إيجور) .. إن أحدنا لم يتوقع أن يكون الجنرال قادرًا على الإدراك الفائق .. إنه سيأتى من أجلك حتمًا .. لن يتركك حيًّا بعد ما عرف مبلغ مقتك له .. وأرى أنك يجب أن تغادر القرية حالاً .. »

ـ « هـ .. هذا لن يكون .. سأعود ! »

ـ « إنه أقوى منك بمراحل .. عرفنا الآن سبب فراره قبل أن يقبض عليه رجال (هتلر) .. »

ـ « ليكن .. سأعود ! »

ـ « إذن عليك أن تستعد له .. »

ومضت فترة من الصمت بدا فيها أن (شندلر) يفكر بعمق .. بعدها قال فى إعياء :

ـ « ثمة حل لكنه خطر .. سأحاول أن أعطيك موهبتى السلبية .. عندها لن يتمكن أحد من اختراق عقلك ! »

ـ « و .. وماذا .. تنـ .. تنتظر ! »

ـ « لا تنس أننى ميت .. ربما كان هذا خطرًا على حياتك .. ثم إنّ عقلك لن يتحمل موهبة جديدة .. موهبته الأصلية توشك أن تؤدى به تحت نوبات الصرع هذه .. فماذا يحدث لو زاد موهبة أخرى ؟ »

ـ سأتحمل المسئولية يا (بيتر) .. فقط افعل ! »

وشعر (إيجور) هنا بشيئين :

الشىء الأول : أنّ (شندلر) يجوب ردهات عقله بخطى متمهلة وهو يصدر جلبة معينة ..

الشىء الثانى : هو أن أقفالاً عديدة توضع على كل أبواب ذهنه .. بل والباب الرئيسى الذى يقود إلى كل هذا .. وأدرك (إيجور) أن هذه الأقفال عسيرة الفتح .

قال (شندلر) وهو يواصل عمله :

- « تركت لك بابًا أو بابين حتى تستطيع تعرّف نفسك .. والذكريات القريبة .. والآن قل لى : من هى (لارا) ؟ »

عبثًا بحث (إيجور) عن مغزى الاسم فلم يجد ..

- « من هو (مالكولم) ؟ ما اسم عملك ؟ »

لم يجب (إيجور) لأن هذه الأسئلة لا تعنى لديه أى شىء ..

قال (شندلر) فى هدوء :

- « هذه نتيجة طبيعية .. فقدان ذاكرة محدود لأنك لا تملك المفتاح الذى يقود إلى هذه الذكريات .. هل فهمت ؟ إن من يفقد الذاكرة إنما يفقد مفتاح أبواب عقله ، ومادمت أنت عاجزًا عن فتحها فلا أحد سواك يملك ذلك .. »

- « و .. وأنت ؟ هل تعانى فقدان الذاكرة هذا ؟ »

- « لا .. لأنى تعلمت أن أجد المفتاح .. لكنى لن أعطيك مفتاحك إلا بعد أن تفرغ من المعركة .. »

بدأت الرؤيا تزداد ضبابًا منذرة بالانتهاء ...

وحين زالت الغيوم أخيرًا وجد (إيجور) نفسه وقد تمدد نصفه العلوى على الأرض ، وقدماه على الفراش ..

وكان هناك من يطرق باب الغرفة فى إلحاح ..

★ ★ ★

مشى إلى الباب مترنحًا شاعرًا إن رأسه يزن عشرة أطنان ..

كان حذرًا .. ألصق أذنه بالباب ليصغى .. ثم تساءل :

ـ « من هناك ؟ »

كانت الإجابة قد وصلته منذ ثوان .. سمع أسئلة كثيرة بالإسبانية .. هذا إذن هو (داماسوس) صاحب الحانة قد جاء ليعرف سبب هذه الأصوات الكثيرة التى يسمعها .. لقد كانت نوبة الصرع صاخبة بالتأكيد هذه المرة ..

فتح الباب .. وتلقى الأسئلة العديدة بلا فهم .. مثّل بوجهه أنه كان غافيًا وأنه رأى كابوسًا ...

عاد صاحب الحانة يقول مزيدًا من الكلام ..

وأشار إلى الوراء .. أشار إلى شخص ما يقف خلفه ..

وفى ضوء الممر الخافت لمح (إيجور) هذا الوجه .

كان هذا هو د. (مالكولم) ....

★ ★ ★

لم يتبدّل الرجل كثيرًا عما عرفه (إيجور) منذ ذلك العهد السحيق .. (أحقًا صار عام ١٩٦٠سحيقًا ؟) .. معمل الجامعة ودراسات الباراسيكولوجى وتجربة (هاثاواى) المريرة ...

لكن (إيجور) هو الذى تغير ...

لقد نسى وجه (مالكولم) تمامًا ....

أشرق وجه (مالكولم) وهو يدخل الغرفة .. ثم صافح (إيجور) فى حرارة وأشار إلى (داماسوس) كى يتركهما ويوصد الباب ..

ـ « (إيجور) !.. يا له من دهر ! »

نظر له (إيجور) نظرة خاوية ولم يتكلم ..

كان من الذكاء بحيث يفهم أنه يعرف الرجل جيدًا .. لكنه لم يظهر ما يدلّ على أنه يجهل من هو ...

قال د. (مالكولم) وهو يسير إلى النافذة ليفتحها :

ـ « لقد تكبدت مشقة كبيرة كى ألحق بك ها هنا .. لكن الجنرال أصرّ على هذا .. لقد أتعبتنا كثيرًا يا (إيجور) .. »

ثم عاد يرمق (إيجور) فى مودة :

ـ « لقد تأكدنا من براءتك من حادث مصرع (شندلر) .. وإن كنا نرجح أنك ضغطت عليه حتى باح بمكان (جابلر) .. لا يهم .. إن الجنرال (فرايدمان) يقدم لك عرضًا .. ستعود معى إلى الولايات على الفور .. ويقوم رجالنا هنا باغتيال جنرالك النازى فى أية لحظة تقررها أنت .. فقط عليك أن تدفع حساب هذه الغرفة الحقيرة ونتجه معًا الآن إلى الطائرة التى ستحملنا إلى (لاباز) .. لا نريد ضجة ولا ضوضاء .. »

لم يفهم (إيجور) أكثر هذا الكلام .. لكنه فهم أن (مالكولم) يعمل مع من يهمهم عودة (إيجور) إلى الولايات المتحدة .. مستحيل ! لقد صار الآن آلة قتل مبرمجة لا تريد سوى الدماء ..

قال (إيجور) وهو يتأمل مشهد الغروب من النافذة :

ـ « لن أعود .. سأنتهى منه بنفسى .. »

فى عصبية صاح (مالكولم) :

ـ « كف عن هذا السخف .. (إيجور) .. أنت لن

تربح أبدًا .. لـن تلبث هـذه القريـة أن تغـص بعمـلاء الـ (CIA) والـ (KGB) .. هل تذكر الرجلين اللذين لعبت معهما الورق عشية وصولك إلى (لاباز) ؟

لقد كانا هما بداية الخيط الذى أكد للسوفيت أنك في (بوليفيا) .. فهما قد ارتابا فى أمرك وأبلغا رجلا يعرف مسئول المخابرات السوفيتية هنا .. إن الكل آتون من أجلك .. »

ثم أردف وهو يخرج لفافة تبغ من جيبه :

- « إن لدينا فى الولايات المتحدة حلا لمشكلة نوبتك الصرعية هذه .. أرى أنك خارج من إحداها من فورك .. أليس كذلك ؟ حسن .. يوجد من يدعى دكتور (إيرهارت) .. وهو خبير فى الجراحة النفسية .. يقوم باستئصال جزء من الفص الجبهى للمخ مما يقلل من آثار هذه الموهبة لدى المبتلين بها .. وهذا بالضرورة سيشفيك من الصرع .. هل تسمعنى ؟ لا أفهم سرّ هذه النظرة المتبلدة التى ... لو كان كلامى لا يروق لك ... »

تأمله (إيجور) فى اهتمام .. إنه يتابع كلام الرجل لكنه لا يفهم أى حرف مما يقول .. هو لا يملك خلفية تتيح له الفهم ..

دنا منه (مالكولم) وأمسك بساعده :

ـ « (إيجور) .. تبدو لى كما لو كنت فى عالم آخر .. »

لو كان (إيجور) يذكر الماضى فى هذه اللحظات لتذكر أشياء كثيرة بخصوص (مالكولم) .. لتذكر أن الرجل هو من أعلن سره للأمريكيين وهو من أخبر به الروس .. إن (مالكولم) عميل مزدوج ملوّث .. ومن حسن حظه أن (إيجور) لا يكاد يعرفه الآن ..

كان (مالكولم) يردد فى حيرة :

ـ « أنت لا تذكر شيئًا يا (إيجور) .. أليس كذا ؟ لقد أوصدت أبواب عقلك كلها .. لابد أن حالتك ازدادت سوءًا مع موهبتك التى تفترس كل شىء هذه »

وجذبه بحزم أكبر من ساعده .. هاتفًا :

ـ « لم يعد ثمة مجال للمناقشة .. هلم نرحل لصالحك .. وصالح أمريكا .. »

فى اللحظة التالية انفتح الباب ...

رأى (إيجور) الجنرال (جابلر) واقفًا وفى يده مسدس ـ ألمانى الصنع بالتأكيد ـ وقد سدّده إلى الرجلين ...

تراجع (مالكولم) خطوة للوراء .. ونظر إلى (إيجور) وإلى الجنرال غير فاهم لما يحدث ..

قال الجنرال (جابلر) فى رصانة وهو يدسَ يده اليسرى فى جيبه :

- « إن محادثتنا لم تنته بعد أيها الشاب .. »

بدأ (مالكولم) يفهم فتساءل فى هلع :

- « إذن .. هذا هو الجنرال (سيدلتز جابلر) ؟ »

- « بشحمه ولحمه » - قال الجنرال فى كبرياء : « أنا لا أدرى من أنت يا سيدى ، لكنك ستدفع ثمن تواجدك هنا للأسف .. »

صاح (إيجور) وهو يتقدم نحو الجنرال خطوة :

- « هيا إذن .. اضغط زنادك ولترحنا من وجهك الدميم .. »

- « لا لا .. » - قال الجنرال كما لو سمع هرطقة مخيفة - « لا مزيد من الطلقات والدماء .. إن العملية أبسط من هذا .. سوف أترك اثنين من المخابيل .. ولا توجد مادة فى القانون تدين من يسبب الخبال لسواه .. فضلاً عن أن إثبات هذا مستحيل .. »

صاح (مالكولم) وهو يتراجع للوراء :

ـ « لا ! إن حكومتى ستقدم لك أى عون تريد ! »

لم يكن عالمًا بعد بمعنى كلام الجنرال .. ولو علم لازداد رعبًا على رعب .. فهو ـ دون سواه ـ يعرف جيدًا كيف يكون تدمير الأذهان .. وكيف ....

فى اللحظة التالية راح (مالكولم) يرتجف .. كأن هناك من يقوم بهزه يمينًا ويسارًا بعنف غير عادى ....

ثم ....

★ ★ ★

- ٢٥ -

صراخ آت من آبار الجحيم ...

راح (مالكولم) يتلوى .. وراحت يده ترتجف باستمرار كأنما هى موصلة بتيار كهربائى عالى الفولت ..

ارتجف (إيجور) وهو يدرك أنه يرى للمرة الأولى هذا النموذج الفريد للاختراق المدمر الملىء بالحقد ..

لقد وضع الجنرال كل ثقله وقوته فى هذا الاختراق ، كأنما ليفرغ من (مالكولم) أولاً قبل أن ينفرد بـ (إيجور) ...

رأى (إيجور) الدم يتدفق غزيرًا من عينى (مالكولم) .. ورأى عروق جبهته تنفر ثم تنفجر منها الدماء ....

لن يبقى هاهنا ليرى هذه المذبحة ...

وثب باتجاه الجنرال .. لكن هذا استدار نحوه بعينين يوشك الدم أن ينفجر منهما وسدّد المسدس نحوه محذرًا .. رسالة دون كلمات لكنها بليغة جدًّا ..

هنا قرر (إيجور) أن يقتحم بدوره عقل (مالكولم) ويحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه ....

وبدأ الاختراق ....

أى خراب هذا ! النيران والدخان الأسود فى كل مكان .. كل الأبواب قد تم انتزاعها وحرقها ..

كانت كل أسرار (مالكولم) مبعثرة هنا وهناك .. نساء يصرخن وقد احترقت شعورهن .. رئيس الجامعة (إريكسون) يتلوى على الأرض .. رجال المخابرات السوفييتية يلوحون بأسلحتهم .. و (ديمترى كالينين) يصرخ فى (إيجور) :

ـ « ماذا جاء بك هنا ؟ ارحل سريعًا ! إن هذا العقل سينفجر حالاً ... »

كانت هناك معامل محترقة .. وأطفال يئنون وسط سحب الدخان الأسود .. لكن (إيجور) شق طريقه وهو يسعل ويحجب عينيه حتى وصل إلى مكان غرفة العقل الباطن لم تكن هناك غرفة .. بل أطلال ينعب البوم فيها ....

ورأى الجنرال (جابلر) يقف وسط هذا الصخب والصراخ ، حاملاً قنبلة يدوية أخرى يوشك على إلقائها ...

وثب (إيجور) على الجنرال ذى السبعين عامًا ، فألقاه أرضًا وتدحرجت القنبلة إلى داخل الحجرة .. و ...

بووووووم !.....

فما إن انقشعت السحب حتى صاح الجنرال ، وهو يقاوم قبضة (إيجور) الذى ارتمى فوقه بأعوامه الستة والعشرين :

- « يا لك من معتوه ! لن تستطيع مقاومتى .. لن يلبث هذا الذهن أن ينفجر وعندئذ .. لن تستطيع الفرار فى الوقت المناسب .. »

- « لا يهم .. فأنت ستموت معى ! »

- « أنت واهم يا صديقى ... »

كان الدخان واللهب يحيل المكان جحيمًا .. ورأى (إيجور) امرأة تصرخ وهى تحمل طفلاً على كتفها .. أدرك دون جهد أن هذه هى أم (مالكولم) تحمل ابنها بعيدًا .....

راح يوجه اللكمة تلو اللكمة إلى وجه الجنرال .. وقف على قدميه ، وركله فى خاصرته .. ثم وثب فى الهواء ليهوى بثقله على صدره .. فوق ضلوعه ....

هكذا لا تجدى الرحمة مع الأفاعى ...

لكن الجنرال لم يمت ...!....

★ ★ ★

شعر (إيجور) بشىء يجتاح عقله ..

شعر بأقدام متلصصة تزحف نحو ذهنه .. وسمع الجنرال يصيح بالألمانية :

ـ « كانت حماقة منك أن تتحدانى يا فتى .. والآن سأخترق ذهنك هنا .. داخل ذهن هذا المعتوه ! »

كان الجنرال راقدًا على الأرض تحت (إيجور) .. الدم يغمر وجهه وقد تورمت كل عضلة فيه ..

لكن عينيه ظلتا نشطتين سامتين ...

سمع (إيجور) صوت عبث فى الأقفال .. محاولة فتح .. لكن بلا جدوى .. لأن (شندلر) كان قد استخدم أقفالاً لا يمكن اغتصابها مهما بلغ عنف المحاولة ...

ـ « هذا غريب ! إننى عاجز عن الدخول .. ماذا أصاب عقلك ؟ لقد كان مفتوحًا لى كقرية بولندية إبّان الحرب .. أية حيلة قذرة قد .... »

لم يتركه (إيجور) يواصل المحاولة ..

راح يكيل له اللكمة تلو اللكمة .. ثم وثب في الهواء ليعيد محاولة تهشيم ضلوعه ... كرااااش !

ـ « لا جدوى يا فتى .. لا يمكن قتلي بهذه الأساليب .. إن جسدى المادى لم يمسّ وما زال يسدّد المسدس إليك .. أنت تقاتل الصورة التى ترمز إلى وعيى .. ألم تفهم هذا بعد ؟! »

قالها الجنرال وعلى وجهه ابتسامة ذئب لو كانت الذئاب تبتسم ..

وشعر (إيجور) بأصابع الجنرال الذهنية تعيد تحسس أبواب عقله الموصدة .. بابًا بعد باب .. ثم ....

ـ « عجبًا يا فتى .. هذا الباب مفتوح .. لماذا لم توصده هو الآخر ؟

كل ما أحتاج إليه هو إدارة هذا المقبض .... و .... »

هنا سمع (إيجور) صرخات المئات ....

رأى جيشًا من البولنديين يخرج من الغرفة المواربة فى ذكرياته .. الغرفة التى تعمد (شندلر) ألا يغلقها ..



راح يكيل له اللكمة تلو اللكمة .. ثم وثب فى الهواء
ليعيد محاولة تهشيم ضلوعه .. كراااش ! ..

كانوا جميعًا من قومه .. رأى أمه وخاله وجيرانه .. كلهم يصرخون فى غضب وقد امتلأت أجسادهم بالطلقات .. رآهم يغادرون الغرفة .. سمع الجنرال يستغيث متوسلاً :

- « لا .. أرجوكم ! دعونى ! لا أريد أن ... يجب أن أغادر هذا العقل سريعًا .. »

لكن القوم كانوا ثائرين ، وقد أنساهم الحنق كل تعقل .. كان قاتلهم معهم الآن فى مكان واحد ......

وعرف (إيجور) أن الجنرال لن يستطيع التخلص منهم مهما حاول .. مهما صاح .. مهما أطلق رصاص مسدسه ....

إنه الانتقام ....

كان الجنرال يتداعى من تحته الآن .. وفى الوقت ذاته راحت الأحجار والغبار يتهاويان من السقف .. إن عقل (مالكولم) على وشك الانهيار التام ..

سارع (إيجور) بالنهوض من فوق فريسته .. وانطلق يركض فى الردهات .. بينما تتناثر حوله جثث ذكريات د. (مالكولم) .. حبيبته .. أصدقائه .. معلميه .. كلها تحترق أو تهوى الأحجار فوقها ...

فما إن غادر ذهن (مالكولم) حتى رأى غرفة الحانة من جديد ... وكان كل شىء قد تغير .....

* * *

إلى الغرفة دلف اثنان ..

أحدهما هو (جيمس ماكجافن) صديق (إيجور) القديم الذى يملك موهبة التحريك عن بعد .. والآخر لا يعرفه (إيجور) ...

فما إن رأيا المشهد حتى دارى (ماكجافن) عينيه .. وهمس الآخر وهو لا يخفى رجفة اجتاحت جسده :

ـ « يا للسماء ! »

فى تؤدة مشى (إيجور) إلى الجنرال الذى مازال واقفًا ومسدسه فى يده .. لكن نظرته لم تعد تحمل معنى من أى نوع ..

انتزع (إيجور) المسدس من يد الرجل فاهتز جسده .. كأنما هو مشجب انتزعت معطفك من فوقه ...

كان اللعاب يسيل من فم الجنرال .. وسمعاه يغمغم بالألمانية ببضع كلمات لا معنى لها .. وبطريقة أقرب إلى غناء الأطفال حين يتعلمون الكلام .....

- « من هو ؟ وماذا دهاه ؟ »

- « لقد ترك وعيه للأبد داخل عقل (مالكولم) .. لم يتمكن من الفرار في الوقت المناسب .. عطله البولنديون الثائرون ! »

تبادل الرجلان النظرات .. هل جن الجميع هاهنا ؟

لكنهما لم يجرؤا على التعليق أو السخرية وهما يريان ما حلّ بالدكتور (مالكولم) .. سيظل هذا المشهد يطاردهما بقية حياتهما ..

- رأسه .. أين هو ؟! »

- « انفجر ! » - قال (إيجور) في هدوء وهو يدسّ المسدس في جيبه : « تناثر في كل موضع .. لقد كان هو آخر ضحايا الجنرال (سيدلتز جابلر) وأبشعهم منظرًا .. »

ثم رفع رأسه متسائلاً :

- « ولكن .. من أنتما ؟ »

- « أحقًا لا تعرفني يا (إيجور) ؟ أنسيت (ماكجافن) ؟ »

- « أنا .. لا .. أ .... »

هنا سمع (إيجور) صوت (شندلر) يتردد في ردهات عقله :

« الآن يا (إيجور) وقد جُنّ الجنرال للأبد ؛ يمكننى أن أعيد فتح أقفال عقلك .. الآن تعود ذكرياتك القصية كلها .. »

صاح (إيجور) فى ذهنه :

« شكرًا يا (بيتر) .. لولاك لما تمكنت من ذلك .. لقد أسديت لى عونًا لا يمكن وصفه .. خاصة حين تركت باب البولنديين مواربًا فى ذهنى ليجده الجنرال »

« أردت أن يهلك بأيدى ضحاياه .. إن فى هذا لعدالة شعرية تروق لى .. »

« وما هو مصيره الآن ؟ »

« أسود بالتأكيد ! إنه الآن مجرد نوع من الخضر .. إن مستقبلاً باهرًا ينتظره كعبيط قرية (سان راموس) »

كان (إيجور) يواصل المحادثة شاردًا ، وقد اتسعت عيناه وسال العرق على جبينه ..

قال (ماكجافن) وهو يلقى بالملاءة على جثة (مالكولم) :

- « لولا أننى أعرفك يا (إيجو) لحسبتك معتوهًا .. إنك ستشرح لنا كل شىء فيما بعد .. أما الآن فعلينا أن نغادر هذه الحانة حالاً .. »

سأله (إيجور) وهو يجذب الجنرال من يده فينجذب له كدمية :

- « ماذا أتى بكما هنا ؟ »

- « جئنا مع (مالكولم) البائس .. أقدم لك (مارك هالبروك) الطيار الذى جلبنا من (لاباز) .. كان قد تأخر فى اللحاق بنا ومن ثم جئنا لنرى مادهاه .. »

قال الطيار وهو يتأكد من سلامة مسدس كان فى نطاقه :

- « إن القرية تعجّ بعملاء الـ (KGB) .. وعلينا أن نخرجك منها بأسرع ما يمكن .. سنعود إلى الولايات المتحدة حالاً .. إنّ معنا جواز سفر مزورًا لك باسم آخر ..

قال (إيجور) وهو يواصل جذب الجنرال العجوز الذاهل كأنما يراقصه فى أرجاء الحجرة :

- « وهذا الجنرال و (مالكولم) ؟ »

ـ « مع الجنرال نحن لم نقارف إثمًا .. لقد جُنَّ .. هذا شأنه .. أما عن (مالكولم) فإن تفسير انفجار عقله سيكون عسيرًا بعض الشيء لهذا سنتركه هنا .. ولسوف يقوم صاحب الحانة بإبلاغ السلطات حين نكون قد صرنا في مطار (لاباز) .. »

نظر (ماكجافن) إلى (إيجور) مدّققًا .. ثم تساءل :

ـ « (إيجو) .. هل ستعود معنا إلى الولايات دون ضوضاء ؟ »

تأمل (إيجور) وجه الجنرال الجامد .. وتنهد في رضا :

ـ « .. سأعود ! »

★ ★ ★

خاتمة ..

عاد (إيجور) مع الأمريكيين إلى الولايات المتحدة .

لم يعد يرى أمريكا سيئة إلى هذا الحدّ .. برغم كل الأعوام التى ظل يتمنى فيها ألا يراها أبدًا ...

كان الجنرال (فرايدمان) ينتظره ..

كان حانقًا لكنه كان مستعدًا للفهم ..

وقد قال له وهو يتأمل أظفاره .. أظفار الرجل الذى لا يمكن التفاهم معه :

ـ « كنا على استعداد تام لتصديق تآمرك مع السوفييت ، وتورطك فى قتل (شندلر) .. لكننا عرفنا أن (شندلر) قد توفى نتيجة حادث مؤسف ، لكنك ـ برغم هذا ـ تصرفت بحماقة لا داعى لها .. وكدت تلقى بنفسك فى فم الدب الروسى .. إن النوازع الشخصية لا مكان لها فى حياة العميل الجيد .. »

فى هدوء قال (إيجور) :

ـ « أنا لست عميلاً جيدًا .. بل لست عميلاً على الإطلاق .. »

تجاهل الجنرال هذا الردّ المتحدى .. قال وهو يشعل سيجارًا غليظًا أفسد رائحة الهواء :

ـ « لا داعى للقول إننى كلفت (مالكولم) ـ رحمه اللَّه ـ بأن يقتلك أو يخطفك لو أنك أبيت العودة .. لا أنوى ترك عميل خطر مثلك للسوفييت خاصة وأنت تعرف كل شىء عنا .. »

ـ « هذا متوقع منك يا سيدى .. »

قال الجنرال وهو يسعل :

ـ « لقد .. كح كح !.. قرأت تقريرك العجيب عن مواجهة الجنرال .. عرفت كذلك أن (مالكولم) البائس كان عميلاً مزدوجًا .. كل هذا لا يصدق .. لكنى مسرور أنك قد نفذت انتقامك .. »

ثم أردف فى تؤدة :

ـ « لقد تخلصنا من (كالينين) و (زاروف) وأكثر أعضاء الـ (KGB) الذين تعرفهم .. تم طردهم باعتبارهم أشخاصًا غير مرغوب فيهم .. أو بلغة الدبلوماسية (بيرسونا نان جراتا) .. إن هذا يسرك حتمًا .. »

تثاءب (إيجور) ومدّ يده يعبث فى نموذج للكرة الأرضية على المكتب أمامه ، وقال :

- « لا ! »

- « ولم لا ؟ »

- « سيرحل (كالينين) ليعود (سخالين) .. ويرحل (زاروف) ليعود (كاربوف) .. أنت تعرف هذا أفضل منى .. »

- « والحلّ ؟ »

- الحلَ هو أن أعود شخصًا طبيعيًا .. »

- « كيف ؟ »

- « حدثنى د. (مالكولم) عن الجراحة النفسية التى يقوم بها من يُدعى د. (إيرهارت) .. قال إنها ستشفينى من الصرع ومن موهبتى هذه .. وعندئذ لن أشكل أهمية للـ (KGB) ولن أشكل خطرًا على الـ (CIA) .. إن هذا الحل يرضى الجميع .. »

وثبت عينيه فى عينى الجنرال معلنًا تصميمه ..

قال الجنرال دون أن يبعد عينيه :

- « غريب أنت يا (تاركوفسكى) .. تتخلى عن موهبة كهذه يحلم الناس بها منذ فجر التاريخ ؟ تعود إلى العامة العاجزين عن اختراق عقول ذويهم ؟ لو أننى امتلكت موهبتك هذه لحكمت العالم .. »

ـ « أنا لا أريد حكم العالم .. »

قالها (إيجور) فى هدوء .. وأردف :

ـ « إن هذه الموهبة لم تجلب لى السعادة يومًا فى حياتى !.. إننا بحاجة لأن يرى بعضنا البعض مغلفين بالادعاء .. بالرياء .. بالخصوصية ..، أما أن نعيش وسط أناس عراة فهذا ليس ممتعًا .. ولن يجلب لك سوى الغثيان والاشمئزاز العميق .. »

ـ « أنت تتفلسف ! »

ـ « ربما .. إننى أنظر إلى موهبتى هذه نظرتى إلى أداة فرغت من استعمالها ولم تعد بى حاجة إليها .. بندقية فى يد رجل مسالم أفرغها فى صدر أعدائه ثم رماها فى النهر ، ونسى كل شىء عنها .. لقد منحنى اللّه موهبتى هذه كى أثأر لقومى وهأنذا قد ثأرت .. حان الوقت كى أنتهى منها .. »

ـ « إذن أنت مصرّ »

ـ « كل الإصرار .. »

ـ « يوجد (جابلر) فى كل زمان ومكان .. ولربما تجددت الحاجة إلى بندقيتك التى رميتها فى النهر هذه .. »

ـ « عندئذ سأحاربه مثل مئات ـ ملايين ـ الأشخاص العاديين .. أبطال كل يوم الذين يحاربون الشر دون موهبة خارقة .. ولا شيء سوى إيمانهم بالحرية .. بالجمال .. بالخير .. »

تنهد الجنرال .. ومرّت فترة من الصمت ..

بعدها قال لـ (إيجور) متلطفًا :

ـ « لا أجد ما أقول سوى : هذا شأنك .. لقد قدمت لنا عونًا ثمينًا وانتهت أزمة الصواريخ الكوبية .. أنت مطلق الحرية الآن .. لقد انتهينا كذلك من تسوية أزمتك مع حكومة (بوليفيا) .. واستعدنا جثمان الدكتور (مالكولم) .. »

ثم تساءل وهو يطفئ سيجاره :

ـ ماذا تنتوى عمله بعد هذا ؟ »

ـ « أعتقد أننى سأحل محل د. (مالكولم) .. سأعكف على دراسة لغز العقل البشرى بالتفصيل .. سألتحق بالجامعة .. »

★ ★ ★

وقد كان ....

خاتمة أخرى
أكثر إملالا

مرحبًا يا رفاق !

د. (رفعت إسماعيل) يعود إليكم بعد أن أراحكم من ثرثرته ثلاثة كتب كاملة .. لقد تركتكم تمامًا تقرءون ما كتبه د. (إيجور تاركوفسكى) عن تجربته غير العادية مع الإدراك الفائق للحواس .. ولقد كان خطابًا طويلاً مرهقًا حقًا ...

كما هو واضح للجميع ؛ صار (إيجور) خبيرًا فى فسيولوجيا المخ وعلم الباراسيكولوجى ، وهو إنجاز لا بأس به أبدًا فى ستة أعوام بالنسبة لمن بدأ محاسبًا فى مصرف دون دراسة جامعية ..

عرفت كذلك أنه أجرى الجراحة إياها .. وعاد إنسانًا عاديًا جدًا لا يشار له بالبنان .. هكذا أراد .. وهكذا صار ...

هو الآن يعيش فى (مانهاتن) مع عزيزته (لارا) وطفله الجميل (أندريه) - تخليدًا لذكرى عمه السكير - يقضى نهاره فى معامل علم النفس ، وليله فى مكتبه

يدَون للتاريخ قصصًا شائقة عن القدرات النفسية المذهلة ..

إننى أقوم هنا بواجبى إذن .. فهو يريد منى أن أصير (قاعدة معلومات) آدمية عن كل ما هو مناف للمنطق .. كل ما هو (من وراء الطبيعة) .. هذه هى قصته .. وفى المرة القادمة أحكى قصة أخرى لراو آخر سواى ...

أعدكم بهذه العطلة المريحة حتى الكتيب الثلاثين ... بعد هذا يعود لكم (رفعت إسماعيل) بشخصه ليواصل كفاحه مع الأشباح والمذءوبين ومصاصى الدماء ...

القصة القادمة تتحدث عن أسطورة فريدة من نوعها تتحدث عن .. أسطورتنا ....!

لكن هذه قصة أخرى .

د. (رفعت إسماعيل)

القاهرة

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسلة ●

1 - أسطورة مصاص الدماء .
2 - أسطورة النداهة .
3 - أسطورة وحش البحيرة .
4 - أسطورة آكل البشر .
5 - أسطورة الموتى الأحياء .
6 - أسطورة رأس ميدوسا .
7 - أسطورة حارس الكهف .
8 - أسطورة أرض أخرى .
9 - أسطورة لعنة الفرعون .
10 - أسطورة حلقة الرعب .
11 - أسطورة الكاهن الأخير .
12 - أسطورة البيت .
13 - أسطورة اللهب الأزرق .
14 - أسطورة رجل الثلوج .
15 - أسطورة النبات .
16 - أسطورة الناقاراى .
17 - أسطورة حسناء المقبرة .
18 - أسطورة الغرباء .
19 - أسطورة بو .
20 - حكايات التاروت .
21 - أسطورة عدو الشمس .
22 - أسطورة المينوتور .
23 - أسطورة رعب المستنقعات .
24 - أسطورة إيجور .
25 - أسطورة الجنرال العائد .
26 - أسطورة المواجهه .

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

1 - قصة لا تنتهى .
2 - حكايات من والاشيا .
3 - صفر ... صفر ... سبعة .
4 - إمبراطورية النجوم .
5 - ذات مرة فى الغرب .
6 - خيول ورماح .
7 - ألعاب إغريقية .

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ من أجلك .
2 ـ لا تقل وداعا .
3 ـ قلوب لاتنبض .
4 ـ الدموع الباردة .
5 ـ هى فى حياتى .
6 ـ ياقلب لاتغفر .
7 ـ النبع الجاف .
8 ـ طيور بلا أجنحة .
9 ـ رسالة حب .
10 ـ لعبة القدر .
11 ـ العصفور الجريح .
12 ـ أشجار الحب .
13 ـ رحلة قلب .
14 ـ شمس الليل .
15 ـ الحب بلا أرقام .
16 ـ لقاء الحب .
17 ـ المرآة السوداء .
18 ـ حب وكراهية .
19 ـ وذاب الجليد .
20 ـ حب وسط النيران .
21 ـ دموع كيوبيد .
22 ـ أوهام الحب .
23 ـ نداء قلبى .
24 ـ حذار من الحب .
25 ـ الموعد .
26 ـ وداعًا ياحبى .
27 ـ حبى المعذب .
28 ـ لك قلبى .
29 ـ الحلم .
30 ـ زوجى .
31 ـ الحب والمعجزة .
32 ـ وداعًا للماضى .
33 ـ طائر غريب .
34 ـ هذا الرجل .
35 ـ التقينا من جديد .
36 ـ نسمة الصباح .
37 ـ لن أعود .
38 ـ الشريكان .
39 ـ أنت قدرى .
40 ـ بلا أمل .
41 ـ أحلام ضائعة .
42 ـ أبى الحبيب .
43 ـ الحاجز .
44 ـ لن أنساك .
45 ـ ستبقى فى قلبى .
46 ـ أحببتك فى صمت
47 ـ رجل وقلبان .
48 ـ الحب الجريح .
49 ـ الحب والاختيار .
50 ـ وابتسمت الحياة .
51 ـ اللقاء الأخير .
52 ـ عودة الغائب .
53 ـ أمواج الحب .
54 ـ معك دائمًا .
55 ـ اغفر لى .
56 ـ لقاء فى الغروب .
57 ـ جدار الماضى .
58 ـ لأنى أحبك .
59 ـ الأسيرة .
60 ـ مرحبًا بالحب .
61 ـ شمعة لاتنطفئ .
62 ـ لا ترحلى .
63 ـ لمسه حب .
64 ـ الصديقتان .
65 ـ الوجه الدميم .
66 ـ خفقات قلب .

د . رفعت إسماعيل مع القراء

أصدقائى ..

لاحظت أن خطاباتكم تحوى تصحيحات أو معلومات هامة بالفعل .. أكثرها مفيد بالفعل .. والقليل جداً منها أضعه تحت قائمة تصيد الأخطاء أو التحرش .. لهذا أخصص هذا الجزء لبعض المعلومات التى وردت فى خطاباتكم والتى لم أكن أعرفها .. أو أعرفها ونسيتها .. أو أعرفها ونسيت أننى أعرفها أو أعرفها ، ويهمنى أن تعرفوها .. إلخ !

• الصديق : محمد أحمد غبور ـ المنصورة :

يقول (محمد) ـ وهو يتحدث عن قصة (حشرة الشيطان) ـ إننى تحدثت عن انتقال الصفات المكتسبة عن طريق العوامل البيئية إلى الأجيال التالية .. ويرى أننى بهذا أؤيد نظرية (لامارك) الذى تحدث عن استطالة عنق الزرافة بعد أجيال من محاولتها الوصول إلى غصون الأشجار .. أى إن (الصفات المكتسبة تُورّث) ... يتحدث (محمد) عن تجربة

العالم الألمانى (فايزمان) الذى قطع ذيول فئران التجارب .. وبعد تسعة عشر جيلاً ظل الذيل ينمو للفئران ، لأن (كودونات) الذيل فى جزىء (DNA) لم تتلاش بقطع الذيل .. أى أن هذا دليل على خطأ (لامارك) ...

صحيح يا (محمد) .. وقصة (حشرة الشيطان) لم تتحدث عن (لامارك) بل عن (داروين) .. الحشرات المتطفرة التى استطاعت أن تتحمل الحرارة والمبيدات لقادرة على أن تعيش وتنجب أجيالاً تحمل ذات طفرة DNA .. وبالتالى تقاوم كلها ذات المؤثرات القاتلة .. وهذا هو مبدأ الانتخاب الطبيعى ..

حين يتحدث من فى سن (محمد) الصغير جدًّا بهذه النظريات ، أشعر أن سباق العلم لم يفلت من أيدينا نحن العرب بعد ...

• الصديق : أسامة حسنى نصر ـ القاهرة :

د . (أسامة) أرسل هذا الخطاب منذ فترة ، وهو طالب فى بكالوريوس صيدلة .. أعتقد أنه تخرج بالفعل الآن وصار مندوب دعاية متأنقًا لإحدى شركات الأدوية ..

لاحظ فى قصة (وجاء العنكبوت) ـ ترجمة المؤلف ـ أننا تحدثنا عن نمو الفيروس فى محلول بروتينى .. ويقول : « الفيروسات لا تنمو إلا فى وجود خلايا حية ، أى فى (Cell Culture) » .

هذا صحيح .. لكن هذا ما قاله (إدوارد ليفى) فى الرواية .. بالإضافة إلى أنه يخلط كثيرًا ما بين مفهوم الفيروس والباكتريا .. ليس الخطأ خطأ المترجم إذن .

« فى أسطورة النبات قيل إن النيوستجمين يؤخذ عن طريق الوريد بينما هو يؤخذ عن طريق العضل .. »

هذا صحيح .. (النيوستجمين) يؤخذ بالفم أو تحت الجلد أو حقنًا فى العضل .. هذا خطأ غير مقصود ..

« قلت إن نبات البلادونا له رائحة تسبب الهلوسة .. لكن نبات البلادونا (Atropa Belladana) يحوى فقط قلويدات مثل الأتروبين والهيوسين والهيوسيامين وهى تسبب الهلوسة لكن ليس عن طريق الشم .. فالنبات خال من الزيوت الطيارة .. »

أعتقد أننى تحدثت عن البلادونا فى صفحة ٤٢ يا (أسامة) .. ولم أقل قط أنها تسبب الهلوسة عن طريق الشم .. قلت إن النبات (موكاسا) هو الذى

يسبب هذا لأن (من المألوف أن تخرج من نبات ما رائحة تسبب الهلوسة) .. أى أن هناك فاصلاً لا بأس به بين المعنيين ..

سررت بخطابك ودقتك الصيدلية العاتية .. وبانتظار المزيد ..

● الصديق : سيف الإسلام محمد ولى الدين ـ الإسماعيلية :

(سيف الإسلام) طالب بكلية الطب ، له آراء هامة سأناقشها بالتفصيل فى كتيب قادم .. لكنى هنا أجتزئ من خطابه معلومة يقول فيها :

« شكل الأرقام الهندية يختلف عن الأرقام العربية .. وحين أخذها العرب عن الهنود طوروها حتى صرنا نكتبها بهذا الشكل ١ ، ٢ ، ٣ .. وكذا حدث مع الأوروبيين حين بدءوا يطورون الأرقام العربية بعد دخول المسلمين لأوروبا حتى وصلت للشكل المعروف .. 1,2,3, » .

الواقع يا (سيف) أننى قبل ذكر هذه المعلومة فى الكتيب الثالث عشر ـ أقولها بالحروف تفاديًا لكتابتها بالأرقام ـ رجعت إلى كتاب هام هو (قصة الأعداد)

تأليف (باتريشيالوبر) ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، من ترجمة الدكتور (أنور محمود عبد الواحد) .. وهو كتاب مبسط لكنه وافٍ .. وما زالت مصرًا على أن أرقامنا (١، ٢ ، ٣ ،.. هى أرقام هندية .. أما .. 3 , 2 , 1 فهى أرقامنا العربية التى نسيناها طويلاً ..

• الصديقة علا خليل ـ دولة الإمارات :

حفيدتى (علا) ـ كما تصرّ على أن تدعو نفسها .. وبالتالى تزيدنى شيخوخة ـ تحدثنى عن إحدى أساطير الجدّات فى دولة الإمارات .. وهى أسطورة (أم الدويس) .. أنا لم أسمع عنها من قبل وهى تصلح كمعلومة أذكرها هنا .. (أم الدويس) ـ والكلام لحفيدتى ـ هى مخلوقة بشعة لها أسنان حادة كالسكين .. وعينان شاخصتان بلون الدم .. ويداها ـ أعوذ باللّه ـ منشاران .. وتضيف أن من يناديها فى مكان مقفر مائة مرة لابد أن يراها .. أنا أحب هذه المسوخ التى لا تظهر إلا بعناء كثير يا (علا) ، لأن أحدًا لن يتجشم مشقة استدعائها .. أما عن دعوتك لى كى أفعل ذلك فأعتذر عن عدم قبولها .. إننى سريع الملل كما تعرفين .. ومن العسير أن أكرر شيئًا مائة مرة ..

• الصديقة هبة أحمد خليل ـ الإسكندرية :

قارئتى المخضرمة التى أقنعتنى بكتابة هذا الباب ، والتى بدأت تنسى عمها الشيخ (رفعت) .. (هبة) الآن طالبة بكلية السياحة والفنادق تدرس تاريخ مصر الفرعونية .. وتقول على ذكر الملكة (حتب حرس) :

« هى ملكة من الأسرة الرابعة (٢٦٨٠ ــ ٢٥٦٠ ق . م) زوجة الملك (سنفرو) وأم (خوفو) .. وفى عام ١٩٢٦ عثرت بعثة من (هارفارد) على بئر به تابوت هذه الملكة وعليه اسمها (كان هذا شرقى الهرم الأكبر) .. ولكن التابوت كان خاليًا من الجثة ولم يعثر على المومياء حتى الآن .. فكيف تشبه نومك بنومها ؟.. هل تعرف مكانها ؟ »

هذا هو ما أسميه تصيد الأخطاء يا (هبة) .. إننى أردت التعبير عن النوم العميق فشبهته بنوم مومياء ؛ هى بالتأكيد ميتة جدًا مهما كان مكانها ..

تواصل (هبة) معلومتها الهامة فتقول :

ـ « اقترح (ريزنر) رئيس البعثة تفسيرًا يقول إن (حتب حرس) كانت مدفونة فى (دهشور) قرب قبر زوجها ، وتمكن اللصوص من سرقة المقبرة بما

فيها جثة الملكة وحليها .. لهذا نقل الحراس ما بقى فى المقبرة إلى هذا البئر فى الجيزة .. ومن المؤكد أن الحراس أخفوا عن (خوفو) ما أصاب جثة أمه .. وحتى الآن لم يعثر على قبر يمكن أن ننسبه لهذه الملكة .. »

شكرًا يا (هبة) .. ويبدو أنك تحبين دراستك فعلاً ..

• الصديق : وسام العزامى ـ الشرقية :

يحكى لى (وسام) عن المنطقة التى كان يقيم فيها فى (ليبيا) ، ويقول إن اسمها كان (وادى الموت) .. لكن بعد التجديدات تمت تسميتها (بلدية وادى الحياة ـ نمات) .. وسبب الاسم القديم هو :

١ ـ المدينة كانت محاطة بسلسلة من جبال (أكاكوس) ، وهى مرتفعات عالية قديمة .. بها كهف يطل على المدينة يسمونه (كهف الجنون) .. وعنده حدثت حوادث شنيعة فى الماضى ..

٢ ـ المنطقة جديدة المنشأ .. وعندها يموت كثير من المتسللين عبر الحدود الإفريقية الليبية .. وعدد سكان المنطقة ٦٠٠ نسمة تقريبًا .

معلومة مثيرة يا (وسام) .. وقد فاتنى بالفعل أن أرى هذا المكان حين زرت (ليبيا) فى (حارس الكهف) .. أنا الذى يملك أسئلة أكثر لك ..

• الصديق : محمد عبد الكريم إبراهيم ـ طنطا :

(محمد) طالب بكلية العلوم قسم جيولوجيا .. سأرد على خطابه بالتفصيل فى كتيب آخر .. لكنى أعلق هنا على قصاصة أرسلها من جريدة تحكى خبر القبض على وحش (لوخ نس) .. وأن العالم السويسرى (جان هاندراور) هو من قبض على الوحش ، وهو أنثى طولها أربعة وعشرون مترًا ولها ابن اسمه (جورج) !.. الواقع يا (محمد) أن هذا الخبر مقصوص من جريدة ، دأبت على نشر أخبار نشرتها جريدة فرنسية شهيرة تهوى مداعبة قرائها بأخبار وصور ملفقة .. لعل أشهرها قصة المرأة ذات الأمخاخ الثلاثة فى رأسها .. مع صورة بالأشعة واضح لكل من يملك خبرة طبية أنها مزيفة !

أعتقد أن هذا لم يحدث .. وإلا لاهتز علم الحيوان اهتزازًا .. ولملأ خبر الوحش صفحات المجلات والجرائد .. ولصدعوا رءوسنا به ..

يبدو لى أن هذا القدر كاف اليوم .. فقد دنت عقارب الساعة من الثالثة بعد منتصف الليل .. وعيناى صارتا كـ .. كعينين مرهقتين .. أعرف أن هذا التشبيه بلا معنى .. لكنه قريب مما قاله الشاعر :

كأننا والماء من حولنا   قوم جلوس حولهم ماء !

لهذا أترككم الآن ، لكنى عائد .. مع مزيد من الردود ومع مزيد من المعلومات التى لم أكن أعرفها .. أو لم أكن أعرف أننى أعرفها .. أو .... إلخ ..

أنتظر منكم المزيد من المعلومات الشائقة المتعلقة بتوضيح أو تصحيح نقاط وردت فى قصصى .. لكن رحماكم لا ترسلوا لى معلومات على غرار « هل تعلم ؟.. فى جسد الإنسان من الحديد ما يكفى لصنع مسمار .. ومن الكبريت ما يكفى لصنع علبة ثقاب .. و .... » أو « هل تعلم ؟.. أن (سقراط) ولد عام كذا ومات عام كذا .. »

إن هذا سيجعلنى أصاب بنزف فى المخ حتمًا .. اتفقنا ؟

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

★ ★ ★